المادّة – المكان – الزمان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ

المادّة

.. منذ أن وعى الإنسان ذاته ، وبدأ عقله يستخلص من المحسوسات الماديّة الآتية من عالم المادة المحيط به مدركاتٍ عقليَّةً يبني عليها معرفته المباشرة .. منذ ذلك الوقت .. بدأ يفكِّر في أصل المادة ، وماهيتها ، و من أين جاءت ، وكيف رُتِّبت بهذا الشكل ..... إلخ .. ومع تطوُّر الحضارات وتطوُّر الفكر الإنساني تطوَّر هذا التفكير ، وكثرت هذه الاستفسارات ، حتى أصبحت حجر الزاوية في بناء الفلسفة الإنسانية ..

لقد نظر الفلاسفة القدماء إلى المادة ، محاولين معرفة أصلها ، فرؤوا أنَّه لا بُدَّ من افتراض مادة أولى تكون أصلَ الموجودات في هذا الكون .. وقد اختلفوا في تحديد هذه المادة التي افترضوها ، فمنهم من قال إنَّ هذه المادة هي الماء ، ومنهم من قال إنَّها الهواء ، ومنهم من قال إنَّها النار ، ومنهم من قال إنَّ الوجود أصله ليس عنصراً واحداً ، بل أربعة عناصر ماديَّة هي التراب والهواء والنار والماء ، وإن اختلاف مواد هذا الكون تابع لاختلاف هذه العناصر في كلِّ مادة ..

ومنهم من قال هذه العناصر لا بُدَّ أنّها تحمل الصفات المادية وغيرها ، والتي تحملها جميع عناصر هذا الكون ، ورأوا أنَّ العدد هو الصفة الوحيدة التي تحقق ذلك ، وبما أنَّ الواحد هو أصل الأعداد ، وهذه الأعداد هي تكرار للواحد ، فقد اعتبروا أنَّ الواحد هو أصل الكون ..

ومنهم من قال إنَّ الذرّات هي أصل مادة هذا الكون ، وهي متشابهة ومتجانسة ومتحركة بذاتها ، وإنَّه نتيجة للحركة والاختلاف في تلاقي هذه الذرّات وتآلفها في الجسم المادي ، تنتج الصفات المختلفة لمواد هذا الكون ..

وما حملهم على إرجاع الكون إلى مادة واحدة ، أو مجموعة مواد هي أصل المواد المختلفة في هذا الكون ، إلا سببان :

1 – تغيُّر شكل المادّة وحركتها في هذا الكون ..

2 – عدم تصوُّرهم العدم والخلق من العدم ..

وهكذا عجزوا عن تصور الخلق من العدم ، فافترضوا مادة أولى خُلقت منها محسوسات هذا الكون .. وسبب عجزهم عن تصوُّر الخلق من العدم يتبع للتصورات المادية (المكانية الزمانية) للنفس .. تلك التصوُّرات التي تُبنى على قياس التمثيل ..

لقد تعوَّد الإنسان على وجود صورة للمادة ، وعلى عدم وجود صورة من غير المادة ، فالصورة والمادة تدخلان النفس البشرية (عن طريق الحواس التي هي آليات النفس الحسيَّة حين وجود هذه النفس داخل الجسم) بشكل متلازم دون انفصال ، وذلك في عالم المادة المحيط بنا في الحياة الدنيا ... فلا يمكن للنفس البشرية (من خلال معرفتها المباشرة التي تأخذ مقدماتها من عالم المادة عن طريق الحواس) أن تدرك الانفصال بين المادة والصورة .. فالصورة (في عالم المادة والمكان والزمان) لا يمكن أن تظهر إلاّ في مادة والمادة لا يمكن أن تظهر إلا في صورة ..

وبما أنَّ آليات النفس الماديَّة (حين وجود النفس داخل الجسم) وظيفتها تحسُّس الأجساد الماديَّة ، لذلك فقد اكتسبت هذه النفس (المعرفة المباشرة للعقل البشري) أكثر

تصوراتها من هذا المحيط المادي .. وبالتالي فإنَّ تصوُّر مسألة مادَّة الكون وأصلها وخلقها ، لا بُدَّ أن ينصبغ بمقياس التمثيل الذي انصبغت به النفس ، حيث تعوَّدت على رؤية تحويل المادّة من شكل لآخر ، و لم ترَ هذه النفس خلقاً للمادة من العدم .. هـذا مـا أدَّى إلى افتراضات بعض الفلاسفة عن أصل المادّة وماهيّتها ..

.. وقد قاد منهج التفكير السليم بعض الفلاسفة إلى القول بأنَّ هذه المـادة القديمـة المفروضة ، يستحيل أن تكون شيئاً معيَّناً ، لأنها بلا صورة ، ولكنها تتمتع بقابلية التَّلقِّي ، أي أنَّ هذه المادة القديمة (التي فرضوها) بلا صفة ولا شكل ولا لون ولا حجم ولا طعم ولا رائحة ... إلخ ، فذلك هو خواص لهذه الصورة ، وهي (كما فرضوا) بلا صورة ..

فهذه المادة التي بلا صورة (حسب افتراضهم) هي خارج حدود المكان والزمـان ، وهي غير محسوسة ، فهي إذن خارج حدود هذه الدنيا .. وعندما تتلقَّـى هـذه المـادة المفروضة صورتها ، تملك صفات المادة المحسوسة (شـكل ، لـون ، وزن .....إلخ) ، وبالتالي تصبح داخل حدود المكان والزمان ، أي أنها تدخل حدود عالم الدنيا ..

إنَّ محاولة معرفة خلق المادّة ، تقودنا وعبر جميع الفرضيات إلى نتيجة واحدة ، هي أنَّ المادة الأولى التي خُلِق منها هذا الكون هي العدم .. هذا الخلق من العدم عنـدما تحـاول النفس البشرية تصوُّره ، تكون النتيجة تصورات كالتي رأيناها ..

فالذي قال بأنَّ أصل مادة الكون هو الماء أو الهواء أو ..... إلخ ، كأنه لم يقل شيئاً ، لأنه سيُطلَب منه أن يُبيِّن للآخرين من أيِّ شيء خُلقت هذه المادّة التي فرضها ، وإن جاء خياله بمادّة ما ، سيُطلَب منه أن يُبيّن للآخرين من أيِّ شيء خُلقت هذه المادّة الأخيرة ، وهكذا ..... وفي النهاية سيُسلِّم هذا القائل (إن كان سليم العقل) أنَّ المادّة الأولى التي خُلق منها هذا الكون هي العدم ..

والذي قال إنَّ هذه المادة هي بلا صورة وهي عبارة عن قابلية التلقّي ، ولا تملـك أي صفة ، سيُطلب منه أن يُبيّن للآخرين ما هو الفارق بين مادته هذه التي فرضها ، وبـين العدم ، وعندها سيجد (إن كان سليم العقل) أنَّه لا فارق بين مادته المفروضـة وبـين

العدم ، لأنه لو كان هناك فارق ، فهذا يعني أنَّ هناك صفةً ما أو أكثر تميِّز هذه المادّة عن العدم ، وهذا مخالف للفرض الذي فرضه ، وهو أنَّ هذه المادّة بلا صـــورة ولا صـــفة .. وسينتهي به الأمر إلى الاعتراف بأنَّ هذه المادّة هي العدم ، أو مخلوقة من العدم ..

.. كلُّ ما ندركه ونعلمه بالنسبة للمادّة ، لا يتعدَّى الصفات المحسوسة لمـــواد هـــذا الكون ، وإنَّ الجزم بأي فرضية حول ماهيَّة المادّة الأولى وحول نشأة الكون ، لا يضـــع هذه الفرضية في ميزان العلم ، لأننا لا نملك الدليل والشاهد على وقوع هذه الفرضية ..

﴿ ۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾ [الكهف : 51]

وستبقى هذه الفرضية متأرجحةً بين الشَّك والظَّن والوهم والجهل والتقليد ، دون أن تصل إلى مستوى العلم الذي يملك البرهان والشاهد على وقوعها ..

وحتى ننطلق من مقدمات توصلنا إلى نتائج سليمة ، لا بُدَّ من تناول الحقائق العلمية التي توصَّل إليها العلم حول صفات المادّة وخواصّها ..

تتكوَّن المادّة من جزيئات مكوَّنة بدورها من ذرَّات ، فجميع المواد مكوَّنة في النهاية من ذرَّات .. ولا تختلف أنواع المواد الكثيرة إلاَّ باختلاف الجسيمات التي تكوّن هذه الذرّات ..

وتتكوَّن الذرة (حسب ما وصل إليه العلم) من :

1 – وحدات من الطاقة تسمى بالالكترونات تتحرك حول المركز (النواة) على مدارات محدَّدة و مستقرَّة ، بسرعة عشرات الألوف من الأميال في الثانية .. وبسبب دورانها السريع فإنها تملأ الفراغ الممتد حول النواة ، بشكل يتعذر فيه اقتراب أي ذرَّة أخرى إلى تلك المسافة لتنافرهما .. ولكلِّ مدار من المدارات سوية طاقة محدَّدة ، فإذا انتقل الإلكترون من مدار أبعد عن المركز (النّواة) إلى مدار أقرب فإنه يصدر طاقة ، وإذا انتقل

عكس ذلك فإنه يمتصُّ طاقة ... وللالكترون طبيعة ثنائية ، فهو أحياناً يسلك سلوك جسيم ، وأحياناً سلوك ظاهرة موجيَّة غير ماديّة كالأمواج الضوئية ..

2 – النّواة : وتحوي تقريباً جميع كتلة الذَّرّة ، وتتكوَّن بشكل أساسي من بروتونات ونيوترونات .. وهذه النواة صغيرة جداً بالنسبة للذّرة ، فقطرها يعادل جزءاً من عشرة آلاف إلى مئة ألف جزء من قطر الذَّرّة ..

.. إذاً .. الذرة مكونة من فراغ كبير ، فلو ضُغطت كهارب الذَّرّات التي يتكوَّن منها جسم إنسان يزن (80) كغ لدرجة يختفي فيها هذا الفراغ ، فإنها تشغل جزءاً صغيراً من الميلمتر المكعب ، أمَّا باقي الجسم فهو فراغ تتخلله خطوط كهربائية ومغناطيسيَّة ..

ولنتصور نسبة الفراغ الكائن في حجم الذَّرّة ، علينا أن نقارن بين قطر الأرض وقطر الكرة التي تدور على سطحها الأرض أثناء دورانها حول الشمس ، فنسبة الفراغ في الحالتين متشابهة إلى درجةٍ كبيرة ..

إنَّ الفارق بين ذرة عنصر وآخر ، يعود إلى الفارق في عدد البروتونات والنيوترونات الموجودة في النواة ، وإلى عدد الالكترونات التي تدور حول النّواة وطريقة تنظيمها .. وإنَّ الأنواع الكثيرة من المواد المختلفة ، تتألف من جزيئات كهربائية ليست إلاَّ مجرَّد صورٍ أو مظاهر من الطاقة ..

فلو نظرنا إلى العناصر الكيميائية ، ولاحظنا ما فيها من أوجه التشابه والاختلاف ، سواء لونها أم صلابتها أم ثقلها أم ... إلخ ، لوجدناها جميعها تخضع لقانون واحد هو القانون الدوري للعناصر .. هذا القانون الذي ينصُّ على أنه لو رتَّبنا العناصر الكيميائية تبعاً لتزايد أوزانها الذَّرية (المتعلقة بمكوِّنات الذَّرة) ترتيباً دوريّاً ، لوجدنا أنَّ العناصر التي تقع في قسم واحد ، تؤلف فصيلة واحدة ، وتكون لها خواص متشابهة ..

لقد تمكن العلماء عبر هذا الترتيب من التنبّؤ بوجود عناصر مجهولة ، لم يكونوا قد توصلوا إليها بعد ، وتمكّنوا من خلال هذا القانون الكوني من التنبّؤ بخواص هذه العناصر المجهولة وتحديدها بشكل دقيق .. وعندما أُكتشفت هذه العناصر المجهولة التي تنبّأوا بها ،

جاءت صفاتها وخواصّها مطابقة للصفات والخواص التي تنبّأوا بها من خلال هذا القانون الكوني ..

وعلى الرغم من التعقيد في تركيب كلِّ ذرّة من ذرّات العناصر العديدة ، فإنها جميعاً تتكوَّن من الأنواع الثلاثة نفسها من الجزيئات الكهربائية (بروتونات – نيوترونات – الكترونات) .. وقد كشف العلم الحديث أنَّ البروتونات والنيوترونات مركبة من أجسام أولية تعرف باسم الكواركات ، وأنَّ الالكترونات عبارة عن جسيمات أساسية تنتمي إلى فصيلة أخرى تعرف باسم الليبوتونات ..

وهكذا .. نرى أنَّ تطوُّر العلم يُبيّن الحقائق التي تحيط بماهيّة المادّة ومكوِّناتها ، وأنه كلما اعتقد البشر أنهم أحاطوا علماً بمكوِّنات المادة ، معتقدين أنَّ هذه المكوِّنات هي اللبنات الأساسية لبناء جسم المادة ، كلَّما اعتقدوا ذلك ، يكشف لهم العلم أنَّ هذه المكوِّنات ليست كذلك ، وأنها تتكوّن من مكوِّنات أخرى يعتقدون أنها هي الأساسية ، ومن ثمَّ يكشف لهم العلم أنَّ هذه الأخيرة هي الأخرى مكوّنة من مكوّنات أصغر ، وهكذا ..... فالإبحار في إدراك اللبنات الأولى للمادة ، ليس أسهل من الإبحار في إدراك حدود هذا الكون ..

ونرى أيضاً أنَّ مكوِّنات المادّة ليست جامدة ، وإنما تسبح في عالم من الحركة والحياة ، وأنَّ هناك طاقة تحرِّك هذه المكوِّنات مع بعضها بعضاً .. بل إنَّ هذه المكونات هي شكل من أشكال الطاقة ، وقد استطاع العلماء تحويل المادة إلى طاقة .. وما الطاقة النوويّة إلاّ مثال على ذلك ..

لذلك .. تُعدُّ المادّة عبارة عن طاقة جامدة ضمن إطار المكان والزمان ، وتُعدُّ الطاقة عبارة عن مادة متحرِّرة من هذا الإطار ..

إذن .. هناك قدرة في المادّة ، تعطيها هُويّتها عن طريق تحريك مقوِّمات هذه المادة ، وبالتالي احتلالها حيزاً من المكان ، وانصياعها لانسياب قانون الزمان ..

ولو تلاشت هذه القدرة المودعة في المادة ، والتي تعطيها هُويّتها وحيثيّات وجودها في عالم المكان والزمان ، وبالتالي جميع صفاتها وخواصها في هذا العالم .. لو تلاشت هذه القدرة .. لخرجت المادة من إطار المكان والزمان ، وبالتالي لانتهت إلى الزوال ..

وهذه القدرة المودعة في المادة ، ليست من ذات المادّة ، فلو كانت كذلك لما أصبحت المادّة محتاجة إليها حتى تبقى موجودة في عالم المكان والزمان ، فهي مودعة فيها .. لذلك إذا سحب مُودِع هذه القدرة قدرته من المادّة ، لزالت هذه المادّة ، وبالتالي لزالت السماوات والأرض ، لأنها جميعاً مكوَّنة في النهاية من ذرّات ماديّة محتاجة في كلِّ لحظة من وجودها إلى هذه القدرة ..

لذلك نرى أنَّ مُودِع هذه القدرة التي تعطي المادّة حيثيات وجودها في كلِّ لحظة ، يمسك مادّة هذا الكون (السماوات والأرض) في كلِّ لحظة من الزوال ، عن طريق إعطائها حيثيات هذا الوجود ، وبالتالي فإنَّ مادّة هذا الكون محتاجة في كلِّ لحظة من وجودها إلى قدرة الخالق سبحانه وتعالى ، الذي يبقيها في عالم الوجود المكاني والزماني ، ونرى أنه لا يوجد أحدٌ غيره عزَّ وجلَّ يعيد مادّة الكون إلى ساحة الوجود المكاني والزماني ، إنْ سحب الخالق سبحانه وتعالى حيثيات وجود هذه المادّة ..

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾ [فاطر : 41]

نرى في هذه الآية الكريمة أنَّ إمساك الله تعالى لمادّة الكون من الزوال ، أتى بصيغة الاستمرارية **﴿ يُمۡسِكُ ﴾** ، لذلك فالمخلوقات مُدانة بوجودها في كلِّ لحظة للخالق سبحانه وتعالى ..

وحيثيات وجود المادّة في السماوات والأرض التي أودعها الله تعالى ، والتي تُقيم هذه المادّة في عالم وجودها المكاني والزماني ، هي بحاجة أيضاً (بالإضافة لخلقها) في كلِّ لحظة إلى أمْر الله تعالى ، حتى تقوم المادّة في عالم المكان والزمان .. فإيداع حيثيات

الوجود في المادّة ، لا يعني أنها أصبحت أصيلة ومستقلّة في وجودها عن أمر الله تعالى .. إنَّ هذه الحيثيات تُخرج المادّة إلى ساحة الوجود المكاني والزماني في كلِّ لحظة بأمر الله سبحانه وتعالى ..

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ﴾ [الروم : 25]

.. وهكذا نرى أنَّ العلوم تستطيع أن تعطينا نظريّاتٍ هامَّةً عن خواصِّ موادِّ الكون الموجودة بين أيدينا ، وصفاتها وتفاعلاتها ، وذلك عبر إخضاع هذه المواد للتجربة والمشاهدة ، ولكنها لا تستطيع أن تبيِّن لنا مصدر المادّة الأولى وماهيَّتها التي بُني منها هذا الكون ، وكيف نشأت تلك الدقائق الصغيرة المتناهية في صغرها ، والوقوف عند جوهر آخر اللبنات التي تكوِّن المادّة وماهيَّتها ، والإحاطة التامة بالطاقة التي تربط هذه اللبنات بعضها ببعض ..

﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف : 51]

ويُثبت العلم أنَّ المادَّة حادثةٌ ، أي أنها مخلوقةٌ بعد أن كانت عدماً ، وأنَّ هناك زمناً قد مرَّ على خلقها .. لقد أُخضعت المادّة للتجارب ، وثبت أنَّ خواصّ المادة تتغيَّر مع مرور الزمن ، لذلك ذهب العلماء إلى حساب الزمن الذي مرَّ على خلق المادة ، ونحن هنا لسنا بصدد تقييم هذا التحديد للزمن ودراسته ، ومدى اقترابه من الحقيقة ، ومدى سلامة المقدمات التي استُند عليها في تحديد هذا الزمن .. إنَّنا بصدد جوهر مسألة الخلق التي أثبت العلم والمنطق أنَّ زمناً قد مرَّ على خلق هذا الكون ، بعد أن لم يكن مخلوقاً .. وقد استنتج هذه الحقيقة كثيرٌ من أولي الألباب ، قبل أن تثبتها تجارب العلم ..

.. لقد ارتكزت الفلسفة الإلحادية التي ينفي أصحابها وجود ما وراء عالم المادة والمكان والزمان ، على المقدمات التالية :

1 – السكون شكلٌ من أشكال الحركة ، لذلك ترى هذه الفلسفة الإلحادية عدم ضرورة معرفة أيهما أسبق الحركة أم السكون ..

2 – الزمان والمكان مشتركان بالاستمرارية واللامحدودية واللانهائية ، وبالتالي سرمديَّة المادة ..

3 – تسير هذه الأحداث باتجاه واحد من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل ..

.. هذه هي أهم المقدمات التي بنوا عليها فلسفتهم الإلحادية .. وللنظر في هذه المقدمات نظرة علميَّة عقلية ، لنرى موقع هذه الفلسفة من العلم والمنطق ..

.. المقدّمة الأولى (السكون شكل من أشكال الحركة) ، تعني من وجهة النظر العلميّة (إذا سحبت هذه المقولة على حركة اللبنات الأولى للمادّة) أنَّ العدمَ شكل من أشكال الوجود .. فقد رأينا أنَّ سحب القدرة المودعة بالمادة التي تحرِّك لبناتها الأولى ، وسكون هذه الحركة ، يعني خروج هذه المادّة من إطار المكان والزمان ..

لذلك كيف يكون السكون شكلاً من أشكال الحركة ، إذا سُحبت هذه المقولة على حركة اللبنات الأولى للمادة وسكونها ؟!!! .. لا يمكن أن يكون ذلك إلاّ إذا كفرنا بالحقائق العلمية التي أُثبتت بالتجارب ، وأُدخلت إطار الاستثمار التكنولوجي ..

وربَّ قائل يقول : إنَّ مسألة السكون والحركة لا يُقصد بها حركة اللبنات الأولى للمادة وسكونها ، إنما يُقصد بها نسبية حركة الجسم وسكونه بالنسبة لأجسام أُخرى .. إن كان هذا هو المقصود ، فهذه المقدمة لا علاقة لها بالنتيجة الإلحادية التي يطرحونها ، فما يطرحونه هو أنَّ المادة موجودة سواء قبل تحرُّك لبناتها الأولى أم بعد ذلك ..

لقد اضطروا إلى وضع هذه المقدمة ، لأنهم يعلمون أنَّ الطاقة التي تحرِّك أجزاء المادّة وتعطيها حيثيات وجودها هي حادثة ، لذلك أرادوا أن يطمسوا حقيقةً مفادها أنه قبل ولادة هذه الطاقة التي تحرِّك اللبنات الأولى للمادّة ، لم تكن هناك مادّة أصلاً ، وبالتالي فإن المادة حادثة ، وبالتالي فإنَّ هناك قوَّة أحدثتها .. وهذه النتيجة تنافي فلسفتهم الإلحادية

.. لذلك .. وضعوا هذه المقدمة ، بغية التضليل وقطع الطريق على من يريد الوصول إلى الحقيقة ..

ولو نظرنا في المقدمة الثانية ، وهي استمراريّة المكان والزمان وعدم محدوديّتهما ، لرأيناها (ضمن معطيات العلم والتجربة) مقدمة ساقطة علمياً .. فالزمان والمكان أثبت العلم ومن قبله المنطق أنهما محدّدان ونهائيّان ، ولهما حدودهما ، ويتولّدان تبعاً للمادة وحركتها ..

.. لقد اضطروا إلى وضع هذه المقدّمة ، لأن محدودية المكان والزمان مرتبطة بحدوث المادة ، فالزمان والمكان خُلقا مع المادة ، وهذا ما ينافي فلسفتهم الإلحادية ..

أمّا المقدمة الثالثة وهي انسياب الأحداث باتجاهٍ واحد ، فهي مسألة تحكمنا نحن في هذا العالم ، لأننا منصاعون لقوانين المكان والزمان .. ولكن من الناحية العلمية النظرية فقد أثبت العلم أنَّ انسياب الزمن (وسرعته) تابع لحركة المادة ، أي أنه يمكن نظرياً (إن توافرت الشروط المناسبة) تغيير هذا الانسياب الذي اعتبروه مقدِّمةً مطلقةً لا تتغيَّر ..

وإذا كان الوجود (حسب ما تطرحه فلسفتهم) لا يكون إلاّ في إطار المادة والمكان والزمان فهذا يقتضي :

1 – ألاّ يموت الإنسان ، لأنه أثناء موته لا يفقد شيئاً ماديّاً محسوساً من الممكن دراسته ماديّاً ، وإجراء التجارب عليه ، كالأجسام المادية المحسوسة ..

2 – أو أن نرى ونحسّ نحن في عالم المادة والمكان والزمان ، هذا الشيء (حسب تصوُّر فلسفتهم الإلحادية) الذي فقده الجسم عندما مات الإنسان ..

عندما يبرهن أتباع هذه الفلسفة الإلحاديّة ، أنَّ ما فقده الإنسان في موته ، هو شيءٌ ماديٌّ يمكن دراسته ، وإخضاعه للتجربة ، والتأثير عليه ، عند ذلك فقط يمكن للعاقلين الهبوط إلى مستوى هذه الفلسفة ، وإعادة النظر فيها ، والقول بأنه لا وجود إلاّ في إطار المادة والمكان والزمان ..

وهكذا نرى كيف أنَّ بعض الفلسفات يضع أصحابها النتائج التي يريدونها ، ثم يبدؤون بالبحث عن مقدمات لها ، غير مهتمِّين بحقيقة هذه المقدمات وثبوتها علميّاً ومنطقيّاً .. ونرى أنهم يقرّون نتائج ليسوا عاجزين عن إثبات مقدماتها فحسب ، بل عاجزين عن إثبات عدم سقوط هذه المقدمات علميّاً ومنطقيّاً ..

وبعد الحديث عن المادة من خلال فلسفة البشر وعلومهم ، لنعد إلى كلام خالق المادّة سبحانه وتعالى وننظر في بعض النصوص القرآنية التي تصوِّر هذه المسألة ..

.. إنَّ خلق الشيء يعني ابتداعه وإحداثه بعد أن لم يكن موجوداً ، فالمخلوق هو مُحدث ، أي له بداية لم يكن موجوداً قبلها ، وكلّ ما تقع عليه حواسّنا وما لم تقع عليه ممّن يقبل الخضوع لقوانين المكان والزمان ، هو مخلوق أي مُبتدَع أي مُحدَث ..

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام : 101]

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ۝ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴾ [إبراهيم : 19 – 20]

﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾ [الزمر : 62]

ومسألة بداية الخلق ، وأنَّ للمخلوقات لحظة بدأت بها وجودها في هذا الكون ، هي مسألةٌ تُعَدُّ من مقدمات إدراك حقيقة هذا الكون ، ومن مقدمات الإيمان أنَّ هناك خالقاً لهذه المخلوقات .. هذه الحقيقة التي حاول واضعو الفلسفة الإلحادية وأتباعهم ومن دار في فلكهم ، طمسها واعتناق نقيضها .. هذه الحقيقة المثبتة علميّاً ومنطقيّاً يدعونا القرآن الكريم إلى النظر والتَّعمُّق فيها ..

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١٩ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت : 19 – 20]

﴿ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الروم : 11]

ويلقي القرآن الكريم الضوء على جوهر مرحلة من مراحل هذه المسألة ، هي تمايز السماوات والأرض وانفتاقهما بعد أن كانتا رتقاً ..

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ۝٣٠ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣١ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : 30 – 32]

ويلقي القرآن الكريم الضوء على مسألة اتساع السماء (التي بدأ العلم باكتشاف بعض جوانبها) بشكل تظهر فيه عظمة القرآن الكريم ، الذي أخبرنا بذلك قبل أربعة عشر قرناً

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : 47]

وبعد أن ينظروا إلى هذه المخلوقات المحيطة بهم ، وإلى خلق أنفسهم كجزء من هذه المخلوقات ، يدعوهم القرآن الكريم إلى التأمُّل في ما وراء ذلك .. فلا بُدَّ أن يكون لكلِّ ذلك خالق ، لأنه ليس من العقل بشيء أن يدَّعوا بأنهم خُلِقوا من غير شيء ، أو أنهم خلقوا أنفسهم ، أو أنهم خلقوا السماوات والأرض ، أو أنهم يضعوا أيديهم على خزائن القوّة التي تسيطر على هذه المخلوقات ..

﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾ [الطور : 35 – 38]

وبعد أن يُزهق الحقّ تصوّراهم ، بأنَّ هذه المخلوقات لابُدَّ لها من خالق ، يدعوهم إلى التأمُّل في وحدانية هذا الخالق ، وأنه لا شريك له ، وذلك بدعوة العقول السليمة لاستنتاج وحدانية الله تعالى من المقدمات المخلوقة في هذا الكون ..

﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [النمل : 60 – 64]

وجسم الإنسان الذي يطلُّ من خلاله على هذا العالم المادّي ، هو مادّة ، ويخضع لقوانين المادّة ، فهو يسمن ويهزل حسب تفاعله مع الغذاء المأخوذ من عناصر الأرض ..

﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه : 55]

﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [نوح : 17]

فقد أثبت العلم أنَّ المواد التي يتكوَّن منها جسم الإنسان ، جميعها موجودة في التربة الخصبة ..

وأصحاب الفلسفة الإلحادية ، قديماً وحديثاً ، كما أهم أنكروا حدوث المادّة وخلقها من العدم ، أنكروا أيضاً إعادة الخلق مرةً ثانية ... فالجسم الذي خرجت منه النفس والحياة ، يتفسَّخ ويعود في النهاية إلى المادّة الأولى التي خُلق منها وهي التراب ..

وهذا التراب الذي آل إليه جسم الإنسان ، يتكوَّن من عناصر يتغذى عليه النبات ، وبعد ذلك يأتي إنسان آخر ويتغذى من هذا النبات ، فتنتقل بعض ذرّات العناصر من جسم الإنسان الأول إلى جسم الأخير .. وقد تطير ذرّات الجسد في الهواء فتختلط بمواد أخرى .. وهكذا صعب على الذين أنكروا المادّة من العدم ، أن يتصوَّروا بأنَّ الجسم سيُعاد تركيبه في الآخرة من جديد ..

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدِۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [السجدة : 10]

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍ ﴾ [سبأ : 7]

ويأتي الرد القرآني على هؤلاء معيداً المسألة إلى جوهرها ، فذرّات المادّة التي يتكوّن منها جسم الإنسان مخلوقة وموجودة في الأرض ، قبل وجود جسم الإنسان في الحياة الدنيا ، بل قبل خلق آدم عليه السَّلام وأمر الملائكة بالسجود له ..

ومما يميَّز الجسم الإنساني ويعطيه ماهيَّته الخاصة به ، ليس جنس الذرّات التي تكوِّنه ، فالذرّات هي ذاها سواء في الجسم أم في غير ذلك .. إنَّ ما يميِّز هذا الجسم هو نسب توزع هذه الذرّات فيه ه ، والصورة التي حددها الله تعالى لهذا الإنسان ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : 6 – 8]

فالصورة هي التي تميِّز ماهية الجسم ، بالإضافة إلى نِسب توزُّع العناصر المختلفة بين جسد وآخر ..

إنَّ هذه الدورة البعيدة لذرّات جسم الإنسان بعد موته ، وانتقالها من مكان لآخر ، يعلمها الله تعالى علماً مطلقاً ، وهي مسجَّلة في كتاب حفيظ لا يُترك فيه شيءٌ إلاّ وقد أُحصي ..

﴿ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ۝٣ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ﴾ [ق : 2 – 4]

وهكذا نرى أنَّ افتراض الكفار قديماً وحديثاً بأنَّ المادَّة أصيلة في هذا الكون وأزليّة ، هو افتراض توليفي اقتضته النتيجة الإلحادية التي تحكم فلسفتهم .. فحتى لا يسألهم أحدٌ عن خالق هذه المادة ومحدثها ، افترضوا أنها أزلية وليس لها بداية من الزمان .. وقد رأينا كيف أنَّ العلم المرتكز على ثوابت التجربة والمنطق ، ومن قبله القرآن الكريم ، أثبتا سقوط مثل هذه الفرضيات الإلحادية علميّاً وفلسفيّاً .. وبالتالي .. سقوط النتائج المترتبة عليها ..

المكان

.. الصلة بين المادّة وصورتها المكانية في هذه الدنيا ، هي صلةٌ وثيقة ، فالصورة المكانية تُحدِّد شكل المادَّة وأبعادها ، والمادَّة هي التي تعطي الصورة المكانية جسداً تقع عليه الحواس .. وبعبارة أخرى إنَّ المكان هو الحاوي للمادَّة ، والمادّة هي امتداد المكان .. فجوهر المادة يتميَّز بأنه امتدادٌ ذو ثلاثة أبعاد (الطول ، العرض ، الارتفاع) ..

وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ مكوِّنات المادَّة تكون ضمن حدود جسم هذه المادَّة ، وأنَّ الطاقة التي تُكوِّن وتحرِّك هذه المادَّة ، على امتداد الأبعاد الثلاثة (الطول ، العرض ، الارتفاع) ، تحتجز من الفراغ مكاناً هو جسم هذه المادَّة ، أي تحتجز حيِّزاً تتحرَّك ضمنه المادَّة التي تشكِّل هذا المكان ..

ولما كانت الصورة المكانية مرتبطة بالمادَّة وحركتها ، ولما كانت المادة في حركةٍ مستمرَّةٍ ، فيمكننا تعريف المكان الذي يحتجزه الجسم في لحظة ما ، بأنه الحيِّز الذي تملؤه مادة هذا الجسم في تلك اللحظة ..

وهكذا يكون دليل المكان هو الجسم المادي ، أي أنه لا يُوجَد مكانٌ عندما لا يُوجد جسمٌ مادِّيٌ يدلُّ على هذا المكان .. فإذا كان الجسم المادي متناهياً ، كان الحيِّز المكاني التابع له متناهياً ، وبالتالي انعدام المكان الذي يدلُّ عليه هذا الجسم ..

والعقل البشري ، لا يمكنه تصوُّر مادَّة دون مكانٍ تشغله هذه المادة ، ولا يمكنه تصوُّر مكانٍ غير مشغولٍ بمادَّة .. فالمادة والمكان شيئان متلازمان أحدهما يقتضي الآخر ويدلُّ عليه ، ولا يمكننا (في هذا العالم المادي) تصوُّر وجود انفصالٍ بينهما ..

عندما نقيس أبعاد جسم ما ، نخرج بأرقام تشير إلى أبعاد المكان الذي يحتجزه هذا الجسم من الفضاء الذي يحيط به ، وعلى الرغم من أنَّ الفضاء الكوني المحيط بنا مليءٌ بالمادَّة ، وهو تابع لجسم هذا الكون ، وهو شكل من أشكال المادَّة ، وأنَّ مادَّة هذا الجسم الذي قسنا أبعاده يمكن تحويلها إلى بعض أشكال المادة التي تملأ الفضاء .. على الرغم من

ذلك ، نجد أنه لا نستطيع تصوُّر أبعاد هذا الجسم ، لولا وجود الفضاء الذي يحيط بـه ، حيث يحتجز هذا الجسم قسماً من الفضاء يملأ به مادَّته التي لها شكلٌ من أشكال المادَّة ، يختلف عن شكل مادة هذا الفضاء .. أي أنَّنا لا نستطيع تصوُّر أبعاد الجسم لولا التمايز بين صورته المكانية ، والصورة المكانية للفراغ المادِّي المحيط به ..

عندما ننظر إلى كلِّ ما يحيط بنا من مادَّة ، فإننا نرى أجساماً ماديَّة تحتجز أبعاداً مكانية من هذا الكون ، ويفصلها عن بعضها بعضاً أبعادٌ مكانية تُعدُّ أيضاً من جسم مادة هـذا الكون .. إذا نظرنا إلى نجمين في السماء ، نحسُّ أنَّ بُعداً مكانياً يفصلهما ، وأنَّ أحـدهما يبعد عن الآخر بُعداً ما .. إنَّ هذا البُعد الذي يفصلهما عن بعض مليء بشكلٍ من أشكال المادَّة ..

.. صحيح أنَّ شكل هذه المادَّة يختلف عن شكل المادّة التي تكـوِّن جسـمي هـذين النَّجمين ، لكنّها مادّة ، ولو لم تكن مادَّة لما وُجد هذا البعد المكاني الذي يفصـل بـين هذين النجمين ، ولما استطعنا رؤية ذلك ..

كيف نستطيع أن نرى ما هو خارج حدود عالم المادَّة ؟ .. كيف نستطيع ذلك ونحن نعلم أنَّ المادَّة والمكان شيئان متلازمان ؟.. بل كيف ستأتي إلى أبصارنا صورٌ لأشـياء لا يحدّها مكان ؟!!! ..

ومن هنا ندرك أننا نستطيع قياس المكان وتصوُّره ، بعد قياس أبعاد المادَّة الـتي تمـلأ جسم هذا المكان وتصوُّرها ، وبعد تصوُّر الفضاء المادّي المحيط بالمادَّة التي تملأ هذا المكان .. فلا يوجد مكانٌ مستقلٌ عن الارتباط بالأشياء الخارجية ..

إنَّ الكون الذي نسبح بداخله ونحسُّه ونراه ، مكوَّنٌ من المادَّة ، وإنَّ الأبعاد التي تفصل بين جميع الأجسام المادّية المرئية ، مليئة بالمادَّة ، ولا يُوجد فراغٌ في جسم هـذا الكـون المحسوس لا تملأه المادة بأي شكل من أشكالها ..

ولو وُجد هذا الفراغ غير المملوء بالمادة ، فهذا يعني وجود فطور (شقوق) في جسم الكون .. ونحن عندما ننظر إلى السماء لا نرى شيئاً من هذه الفطور ، ولو كانت هنـاك

شقوقٌ غير مملوءة بالمادَّة ، فهذا يعني عدم وجود مكانٍ يُحدِّد هذه الشقوق ، وبالتالي سوف لا نراها لأنه لا يوجد بُعدٌ مكانيٌ مليٌ بالمادَّة ، كي تنعكس صورة هذه المادَّة إلى أبصارنا .. والقرآن الكريم يدعونا للنظر في هذه الحقيقة الكونية ، والتَّفكُّر في حكمة خلقها ..

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك : 3 – 4]

.. لكلِّ جسمٍ ماديٍّ في كلِّ لحظه هيئة مكانية ما ، تُعبِّر عن الطبيعة المكانية لهذا الجسم بالنسبة للأشياء الخارجية المحيطة به ، وعن توزُّع شكل المادَّة داخل الحيِّز الذي يحتله هذا الجسم في تلك اللحظة .. فالتَّغيُّر في الهيئة المكانية للجسم يتمُّ بشكل عام وفق بُعدَيْن :

1 – التَّغيُّر في الهيئة المكانية الخارجية من لحظة لأخرى ، وهو ثبات شكل هذه الهيئة أو حركتها ، بالنسبة للأجسام الخارجية المحيطة بهذا الجسم ، أو زيادة الحجم أو نقصانه .. فالبالون الذي يتعرَّض للنَّفخ تتغيَّر هيئته المكانية من لحظة لأخرى ، والأرض في دورانها حول نفسها وحول الشمس ، يتغيَّر وضعها المكاني الخارجي من لحظة لأخرى ..

2 – التَّغيُّر في الهيئة المكانية الداخلية ، وهو التَّغيُّر الذي يطرأ على توزُّع المادَّة وحركتها داخل الجسم ، في كلِّ صورةٍ من صور تغيُّر الهيئة المكانية الخارجية لهذا الجسم .. فالبالون الذي يتعرَّض للنفخ ، والذي تتغيَّر هيئته المكانية الخارجية (حجمه الخارجي) من لحظة لأخرى ، يتعرَّض في الوقت نفسه لتغيُّر حركة مكوِّناته الداخلية ، ابتداءً من حركة ذرّاته الداخلية ، وانتهاءً بحركة الهواء داخله ... وكذلك الأرض أثناء دورانها حول الشمس ، وتغيُّر موقعها الخارجي من لحظة لأخرى بالنسبة للأجسام الماديَّة الخارجية ، فإنها تتعرَّض لتغيُّر داخلي ضمنه ، ابتداءً بحركة ذرَّاتها، وانتهاءً بحركة الغيوم والأنهار و ..... إلخ ..

وكلُّ شيءٍ في هذا الكون يتحرَّك ، وتتغيَّر هيئته المكانية باستمرار (سواء الهيئة المكانية الخارجية أم الداخلية) وجميع المخلوقات المادية في الكون تخضع لهذا القانون .. فابتداءً بالذّرة التي تتكوَّن منها جميع مواد هذا الكون ، والتي تتحرك مكوِّناتها الداخلية بشكل مستمر ضمن هيئتها المكانية الداخلية ، مروراً بالمجرَّات الكونية التي تدور وتتحرَّك وفق نُظم وقوانين محدَّدة ، حيث تتغيَّر هيئتها المكانية والخارجية الداخلية من لحظة لأخرى ، وانتهاءً بجسم الكون الذي تتغيَّر هيئته المكانية أيضاً من لحظة إلى أخرى ..

.. الوقوف عند إدراك هيئتين مكانيَّتين متتاليتين ، لا توجد هيئة مكانية مستقلة بينهما (سواء بالنسبة للهيئة المكانية الداخلية أم الخارجية) هو من المستحيل على البشر .. فلإدراكنا حدودٌ معيَّنة ، ويجب ألاَّ ننسى أننا مخلوقات يحكمنا قانون التَّغيُّر هذا ، فكلَّما زاد تواتر الحركة كلَّما قلَّ إدراكنا لتغيُّر الهيئة المكانية للجسم المتحرِّك ، حتى الدرجة التي لم نعد ندرك معها شيئاً ..

فمروحة الطائرة مثلاً عندما تتحرك ببطء شديد نستطيع إدراك (ولو بشكل جزئي) تغيُّر هيئتها المكانية الخارجية ، وعندما تزداد سرعة الحركة لا نستطيع إدراك هذا التَّغيُّر ، وعندما تزداد هذه السرعة لدرجة كبيرة ، عندها لا نرى شيئاً ..

.. الإلكترونات (كما يقول العلم) تتحرَّك داخل جسم الذَّرة حول النواة بسرعة عشرات الألوف من الأميال في الثانية ، فمن أين لنا أن ندرك تغيُّر الهيئة المكانية الداخلية للذَّرة بين حركتين متتاليتين ، تعبِّران عن صورتين متمايزتين ؟!!! ..

.. وأفضل تشبيه لهذه المسألة هو الفيلم السينمائي ، حيث نقوم بتصوير عددٍ كبيرٍ من الهيئات المكانية (الصور) للحدث في الثانية ، ونقوم بعد ذلك بعرض هذه الهيئات المكانية بشكل متتابع ، وفق الترتيب والسرعة نفسها ، فتظهر لنا الصورة الحيَّة لهذا الحدث ..

ولو أخذنا صورتين متتاليتين ، تُعبِّران عن هيئتين مكانيتين متتاليتين من الشريط الذي قمنا بتصويره .. ألا توجد في الحدث الحقيقي هيئة مكانية أخرى بينهما ؟ .. وهل

استطعنا رصد التغيُّر الأصغر في الهيئات المكانية لهذا الحدث ؟.. حسب إدراكنا (نحن البشر) المحدود بتواترات معيَّنة قد يُخيَّل إلينا ذلك ، ولكنَّ الحقيقة أنَّ ذلك من المستحيل لأنَّ المادة تتغيَّر وتنبض بتواترات عالية يستحيل علينا إدراكها ، ومنها المادة التي تدخل في تركيب الآلات التي قامت بعملية التصوير هذه ، والمادة التي تدخل في تركيب أجسادنا ، وفي تركيب جسد هذا الحدث ..

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ التَّغيُّر الذي يطرأ على المادة من هيئة مكانية لأخرى ، لابُدَّ له من قوَّة تؤدي إلى هذا التغيُّر ، وأنَّ هذه القدرة لا تخلقها المادة ، وهي ليست باختيارها وحرِّيتها ..

والمادة محكومةٌ لهذا التَّغيُّر، وفق نظمٍ وقوانينَ محددةٍ وثابتة ، فالذَّرة تتحرَّك مكوِّناتها الداخلية ضمن نظمٍ معيَّنة ، وهي محكومة لهذا التَّغيُّر ولهذه الحركة .. والكواكب والمجرَّات محكومة هي الأخرى لقانون تغيُّر الهيئة المكانية ، ولا خيار لها في ذلك ، فهذا التَّغيُّر ليس بإرادتها وليس باختيارها ، لأنَّ القوة التي تؤدِّي إلى هذا التَّغيُّر ، والقانون الذي يسير ضمنه هذا التَّغيُّر يحكمانها ويسيِّرانها ..

إنه القانون الذي يشمل كلّ المخلوقات المادية المحسوسة في هذا الكون ، إنه قانون المكان .. فهل حدث أنَّ ذرة من ذرّات أي عنصر قرَّرت في وقت ما وقف حركة مكوِّناتها الداخلية ، أو تغيير هذه الحركة ؟ .. كيف يكون ذلك وهي محتاجة في كلِّ لحظة من وجودها لهذه الطاقة وحركتها .. وهل حدث في وقتٍ ما أنَّ كوكباً أو نجماً قرَّر في فترةً ما الاستراحة من قانون الدوران والتَّغيُّر في الهيئة المكانية ، أو تعديل هذا القانون وفق شكل آخر من اختياره ؟ .. كيف يكون ذلك وتوازن المجرَّات السابحة في الكون بحاجة في كلِّ لحظة لهذه القوانين التي تحكمها ..

.. المادة مخلوقة ، ويحكمها قانون المكان المخلوق ، وهي خاضعة تماماً لهذا القانون ، والانتقال من هيئة مكانية لأخرى ، يتمُّ نتيجة قوَّة وحسب قانون لا علاقة لهما باختيار المادة ..

فالإرادة والاختيار يعودان إلى من أودع هذه القوى في المادة ، وإلى من وضـع لهـا القوانين الثابتة التي تؤدِّي إلى تغيُّر الهيئة المكانية ، وفق نُظم محدَّدة نتيجة تفاعل هذه القوى المودعة في المادة ..

فالتَّغيُّر في الهيئة المكانية لأي جسم ولأي حدث ، مهما صغر أو كبر ، هو بقدرة مَن أودع هذه القوى في المادة ، ومَن وضع قانون المكان الذي يتمُّ وفقه هذا التَّغيُّر ، وبإذنـه .. وهذا التغيّر لا يغيب عن علمه ومشاهدته وإرادته لحظة واحدة ، لأنَّ المادة ومكانهـا محتاجان في كلِّ لحظة من وجودهما في هذا العالم المادي إلى الخالق سبحانه وتعالى ..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر : 41]

.. المكان مخلوق شأنه شأن كلّ المخلوقات الأخرى ، والخالق سبحانه وتعالى يعلم علماً مطلقاً الهيئة المكانيّة التي كان ويكون وسيكون عليها هذا المخلوق على مدار الزمن .. فهو الذي خلق المادة التي تملأ جسم هذا المكان ، وهو الذي أودع فيها وبعلم مطلق الطاقة التي تعطي لهذه المادة ماهيتها وحيثيّات وجودها ، والتي تؤدي إلى تغيُّر هيئة المكان التي تحتجزه هذه المادة ..

فعلم الله تعالى المطلق بالهيئة التي يكون عليها المكان ، يحيط إحاطة مطلقة بكلِّ ما في هذا الكون ، ولا فارق في ذلك عند الله تعالى بين الماضي والحاضر والمستقبل ، فكلُّ ما أدَّى ويؤدِّي وسيؤدِّي إلى التَّغيُّر ، هو من عند الله تعالى ، وكلُّ ما وصل ويصل وسيصل إليه هذا التَّغيُّر في الهيئة المكانية ، هو من رسم الله تعالى ويعلمه علماً مطلقا قبل حصوله ..

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : 59]

فالورقة التي تسقط ، ويعلم الله تعالى حركتها ، والحبَّةُ التي في ظلمات الأرض ، واللتان يعلمهما الله تعالى علماً مطلقاً ، هما أيّ ورقة وأيّ حبة في هذا الكون ، سواء الورقة والحبّة المخلوقتان في الماضي أم الحاضر أم المستقبل ، لذلك جاءت هاتان الكلمتان في النَّص القرآني على شكل نكرة [﴿ وَرَقَةٍ ﴾ ، ﴿ حَبَّةٍ ﴾] ..

أمّا علم الله تعالى بحركتهما فهو علمٌ مستمرٌ وموجودٌ دائماً ، سواءٌ وُجدتا في عالم المادة والمكان والزمان ، أم قبل وجودهما ، أم بعد خروجهما من هذا العالم ، وقد عبَّر القرآن الكريم عن ذلك بأن جاءت هاتان الكلمتان بصيغة الاستمرارية : [﴿ تَسْقُطُ ﴾ ، ﴿ وَيَعْلَمُ ﴾] ..

ويجب عدم قياس علم الله تعالى بحركة المكان والزمان على علمنا نحن ، وعدم وضع إطار وعينا وعلمنا المحدود قيداً على علم الله تعالى .. فنحن نطلُّ على هذا العالم المادي عبر جسدٍ مادي يحيط به مكانٌ محدَّد ، ووجودنا في مكان يقتضي عدم وجودنا في غيره ، ويقتضي تفاعلنا مع الصور الحسيَّة التي تصل إلى هذا المكان فقط .. فقانون المكان قيدٌ يحدُّ من علمنا وإحساسنا في هذا الكون ..

وهذا المخلوق – المكان – الذي يحدُّ من شهادتنا وعلمنا في عالم المادة ، هو مخلوقٌ منصاعٌ لله تعالى .. فعلم الله تعالى يحيط بكلِّ مكان وزمان في الوقت نفسه ، لأنَّ وجود الله تعالى ليس مقيَّداً في مكان محدَّد ولا زمان محدَّد ..

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : 7]

ولو تجلَّى الله تعالى بنوره العظيم على أيِّ جسمٍ ماديٍّ له إطاره الخاصُّ من المكان ، لاقتضى ذلك زوال هذا الجسم من إطار المكان الذي يحيط به ، لأنَّ الطاقة المودعة في

الجسم ، والتي تعطيه حيثيات وجوده في هذا العالم المادي ، تتلاشى أمام عظمة النور الإلهي العظيم ..

.. ويبيِّن لنا القرآن الكريم هذه المسألة ، عبر مشهدٍ من قصّة موسى عليه السلام ..

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف : 143]

.. قال الله تعالى لموسى عليه السلام ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ لأنَّ رؤية موسى عليه السلام لله عزَّ وجلَّ ، في هذا العالم المادي المحكوم لإطار المكان والزمان ، تقتضي أنَّ الله (سبحانه وتعالى عن ذلك) من مادة ، وبالتالي محكومٌ لإطار المكان والزمان ، وبالتالي هو موجود فقط في الحيِّز الذي سيراه فيه موسى عليه السلام .. وهذا يتنافى مع الصفات الإلوهية لله عزَّ وجلَّ ، ولذلك قال الله تعالى ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ ..

وحتى يقرِّب الله تعالى هذه المسألة لموسى عليه السلام ، قال له ﴿ وَلَـٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ ، فلما نظر موسى عليه السلام إلى الجبل ، ذلك الكائن المادي المحكوم لإطار المكان والزمان ، وأحاط بصره بحدود المكان الذي يشغله الجسم المادي لهذا الجبل ، عندما تيقَّن موسى عليه السلام من وجود هذا الجبل في إطار المادة والمكان والزمان .. عند ذلك .. تجلَّى ربّه جلّ وعلا للجبل ، أي ظهر نور الله تعالى للجبل في إطار المكان المحيط بهذا الجبل ..

ولتصوُّر ما يمكن أن يحدث ، علينا أن نحاول تصوُّر النسبة بين الطاقة المودعة في مادة هذا الجبل ، والتي تعطيه مقوِّماته المادية ، وإطاره المكاني والزماني في عالم المادة ، وبين عظمة النور الإلهي الذي تجلَّى به الله تعالى .. وبعبارة أخرى علينا أن نحاول تصوُّر الفارق

بين الطاقة التي أودعها الله تعالى في جسد هذا الجبل لإعطائه حيثيات وجوده في عالم المادة والمكان والزمان ، وبين قوة الله سبحانه تعالى وقدرته ..

عندما نتصوَّر ذلك ، ندرك أنه لم يبقَ في ذلك المكان الذي كان يشغله جسم الجبل أيُّ شيءٍ من مادته ، وذلك عندما تجلَّى الله تعالى عليه ، وندرك أنَّ جسم الجبل ذهب من ذلك المكان و لم يبقَ منه شيءٌ ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾ ..

وعندما أدرك موسى عليه السلام ذلك ، أدرك جوهر هذه المسألة ، ولذلك خرَّ صعقاً

﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

.. هذه المسألة المرتبطة بصفات الكمال المطلق لله تعالى ، وأنه أسمى من أن يحيط به مكان محدَّد ، وما يقتضيه ذلك من عدم إدراك الأبصار له ، وعدم قدرة الحواس عليه ، هذه المسألة تبينها الصورة القرآنية التالية ..

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : 103]

وكما قلنا بأنَّ المكان تابعٌ لحركة المادة ووجودها ، فإنَّ المكان الذي يشغله جسم هذا الكون ، هو مخلوقٌ مع المادة ويتَّسع تبعاً لامتداد هذه المادة ..

والقرآن الكريم يلقي الضوء على جوهر هذه المسألة .. فمن المراحل الأولى في خلق هذا الكون ، أنَّ السماوات والأرض كانتا ضمن حيِّز مكاني صغير (إذا ما قورن بالمكان الذي يشغله جسم الكون الآن) وبعد ذلك تمَّ التمايز ..

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ ﴾ [الأنبياء : 30]

وبعد هذه المرحلة بدأت السماء بالاتِّساع في كلِّ الاتجاهات ..

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : 47]

.. نرى في هذه الآية الكريمة أنَّ العبارة القرآنية ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ تعني الاستمرارية في الاتِّساع ، وبالتالي فإنَّ جسم هذا الكون يتَّسع ويتمدَّد من لحظة لأخرى ، وبالتالي يكبر المكان المحيط بذلك ..

ولكن إلى أين سيستمرُّ هذا الاتِّساع ؟ .. هل سيستمرُّ إلى اللانهاية ، أم أنَّ هناك حدَّاً سيقف عنده ؟ .. أم أنه سيعود بالانكماش إلى ما كان عليه ؟ ..

.. يلقي القرآن الكريم الضوء على جوهر هذه المسألة ، مبيِّناً أنَّ هذا النظام الكوني الذي رسمه الله تعالى ، سيتراجع وستطوى السماء ، ويعاد الخلق إلى بدايته ..

﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء : 104]

وهكذا نرى أنَّ المكان الذي تشغله المادة في هذا الكون ليس ثابتاً ، وإنَّما يتغيَّر من لحظة لأخرى ، وأن الهيئة المكانية تتغيَّر باستمرار .. فالمكان الثابت المطلق لا وجود له في هذا الكون ..

والسؤال الذي حار عنده الكثيرون (قديماً وحديثاً) هو معرفة ما هو خارج جسم هذا الكون وتصوُّره ، فخارج البعد المكاني الذي يشغله جسم هذا الكون ، ماذا يُوجَد ؟ .. وهل نستطيع تصوُّر ذلك ؟ .. وقبل خلق هذا الكون وخلق المادة الأولى التي تكوَّن منها ، هل كان هناك أي شيء اسمه المكان ؟ ..

نحن البشر تعوَّدنا أن نرى ونتخيَّل أنَّ خلف كلِّ شيءٍ شيئاً آخر ، وأنَّ خلف هذا الآخر شيئاً آخر ، وهكذا ... فنحن نعلم أننا نعيش على الأرض ، والأرض تحيط بها المجموعة الشَّمسيَّة ، والمجموعة الشمسية تحيط بها المجرَّة التي ننتمي إليها .. وهكذا حتى يكلُّ العقل عن تصوُّر ذلك ..

.. سبب هذا الكلل العقلي هو قياس التمثيل ، الذي تعوَّده العقل من معرفته المباشرة الآتية عن طريق الحواس ، فجميع الأشياء التي يدركها العقل البشري مكوَّنة من أجسام

يقع خلفها أجسام ، وهكذا ... فلم يحصل أنَّ العقل البشريَّ قدَّمت له الحواس صورة من العدم غير مرتبطة بمادة ومكان ، لذلك لا يستطيع تصوُّر العدم ، ولا يستطيع تصوُّر نهاية الكون ماديّاً ..

.. العبارة (خارج جسم هذا الكون) في السؤال السابق ، تحمل تصوّراً وهميّاً مفروضاً (يجهله صاحبه) هو أنَّ الكون يحتلُّ مكاناً جزئياً من شيءٍ أكبر ، ونريد تصوُّر هذا المكان الأكبر .... هذا المكان الأكبر الذي فرضه التَّصوُّر السابق لا وجود له ، وقد دخل إلى العقل نتيجة قياس التمثيل الذي تعوَّده هذا العقل ، فمنافذه الحسيَّة على عالم المادة تقدِّم له مقدماتٍ جميعُها مادية ، وبالتالي جميعها يحدّها مكان محدَّد ، وهي جزء من مكان أكبر يحيط بها .. فمن أين للعقل أن يتصوَّر ما هو خارج عالم المادة ، وبالتالي ما هو خارج حدود المكان ! ..

.. المكان مرتبط بالمادة ، فلا مكان دون مادةٍ تشغله ، ولا مادة دون مكانٍ يحدّد أبعدها ، لذلك وببساطة يمكن للعقل اعتماداً على الفكر النظري المجرَّد ، وحسب المقدمات السابقة ، أن يستنتج أنَّه لا مكان خارج جسم هذا الكون ، وأنَّ تصوُّر وجود مكان خارج هذا الكون ، يقتضي تصوُّر وجود مادة تشغل هذا المكان ، وبالتالي فالذي تصوَّرناه خارج هذا الكون هو جزءٌ من هذا الكون ..

وعلى العقل (حسب ما تقدَّم) أن يدرك بأنَّه لا مكان قبل خلق مادة هذا الكون ، وأنَّ المكان مخلوقٌ وُجد في اللحظة التي خُلقت فيها مادة هذا الكون ..

لقد رأينا في بحث المادة ، كيف فرض أصحاب الفلسفة الإلحادية مقدماتٍ وهمية ، لتضليل العقل وحجبه عن التفكير والتَّعمُّق في حكمة خلق هذا الكون .. فكما أنهم فرضوا أنَّ المادة أزليةٌ لقطع الطريق على من يسأل عن خالق المادة ، فرضوا اللا محدودية على المكان والزمان ، لأنَّ أزلية المادة تقتضي ذلك .. وها نحن نرى سقوط هذه المقدمة الوهمية علمياً (فقد أثبت العلم أنَّ للكون حدوداً وأنه ليس لا نهائياً) وسقوطها منطقياً ..

الزمان

.. ما هو الزمن ؟ .. وما هي ماهيَّته ؟ .. وكيف ندركه ؟ ... عندما نقول : السنة هي (365) يوماً ، والشهر هو (29 أو 30) يوماً ، واليوم هو (24) ساعة ، والساعة هي (60) دقيقة ..... إلخ .. فماذا يعني ذلك ؟ ..

.. لو أخذنا شريطاً سينمائياً يصوِّر حادثةً ما ، وقمنا بعرضه ، لوجدنا أنَّ زمن عرض هذا الشريط بالنسبة لنا وحسب مقياسنا للزمن ، هو مجموع الوحدات الزمنية التي عُرض خلالها هذا الفيلم ..

إذا قُمنا بعرض هذا الفيلم نفسه ، ولكن بشكلٍ أبطأ قليلاً ، أو أسرع قليلاً من العرض الطبيعي السابق ، فهل مجموع الوحدات الزمنية اللازمة (حسب مقياسنا للزمن) لعرضه هو ذاته في الحالة الطبيعية ؟ ..

.. الصور المعروضة (الهيئات المكانية) هي ذاتها في الحالات الثلاث ، لم تنقص و لم تزد أيّ صورة ، وعلى الرغم من ذلك نجد أنَّ الزمن اللازم لعرض الفيلم يختلف من حالة لأخرى ، مع أنِّ إحساسنا بزمن أحداث القصّة هو ذاته في الحالات الثلاث ..

والفترة الزمنية الجزئية ، التي تفصل عرض صورتين متتاليتين في الحالات الثلاث ، مختلفة ، ويكون الزمن الكلِّي اللازم لعرض الفيلم في كلِّ حالة هو مجموع الأزمنة الجزئية الفاصلة بين عرض صورتين متتاليتين لهذه الحالة ، بينما إحساسنا بزمن أحداث القصّة مسألةٌ أخرى تتعلق بمتابعة إدراكنا لتنقُّل أحداث هذه القصّة ..

.. فإحساسنا وإدراكنا للتَّغيُّر الحاصل نتيجة الانتقال من صورة حدث لصورة حدث آخر ، وما تدركه نفوسنا وتتأثَّر به نتيجة هذا التَّغيُّر ، هو ذاته إدراكنا للزمن الذي يفصل بين حدثي هاتين الصورتين عن بعضهما ... فالصورة الأولى رسمت في النفس (عبر أحاسيسنا) تأثيراً ما ، وتصوُّراً عن الهيئة المكانية الأولى التي تصوُّرها هذه الصورة ، وتأتي الصورة الثانية لترسم في النفس تأثيراً آخر ، وتصوُّراً آخر للهيئة المكانية الثانية التي

انتقل إليها الحدث ، ويكون الزمن الفاصل (الذي تدركه نفوسنا) بين هاتين الصورتين (الهيئتين المكانيتين) ، هو إدراك النفس للتغير الحاصل بين هاتين الهيئتين المكانيتين ..

الإسراع والإبطاء في إحساسنا الداخلي بتغيُّر أحداث قصَّة الفيلم ، وبانسيابها الزمني ، يكون بعيداً عن تسريع عرض الفيلم وتبطيئها (زمن عرض الفيلم) .. فاختيار صورة مناسبة لأحداث من مراحل القصّة ، يرسم في نفوسنا سرعةً محدَّدةً لانسياب أحداث القصّة ، ولتصوِّر زمن هذه الأحداث ..

والاختيار المناسب لصور أحداثٍ متباعدةٍ زمنياً في هذه القصّة ، يجعلنا نحسُّ بكامل زمن هذه القصَّة ، ولكن عبر عرضٍ أقلَّ زمناً من العرض الطبيعي .. فتصوُّرنا لزمن أحداث القصَّة المصوَّرة في مسلسلٍ يستغرق عرضه عشرات الساعات ، هو ذاته تصوُّرنا لزمن أحداث هذه القصَّة حينما تُصوَّر في فيلم يستغرق عرضه ساعتين ..

والاختيار المناسب لصور أحداثٍ متقاربة زمنياً في هذه القصّة ، يجعلنا نحسُّ بكامل زمن القصّة ، ولكن عبر عرضٍ أكبر زمناً من العرض الطبيعي ..

.. ولو قمنا بتصوير شريطٍ سينمائي لجسمٍ لا تتغيَّر هيئته المكانية (حسب حدود إدراكنا) لا هو ولا كلُّ ما يحيط به ، عندها ستكون جميع الصور التي يعرضها هذا الشريط متماثلة تماماً ، وأثناء عرض هذا الفيلم نَحْسَبُ أنَّه قد تمَّ إيقاف عرض هذا الشريط ، ولا فارق عندنا حينئذٍ من الإسراع أو الإبطاء في عرض هذا الفيلم ، لأنه لا يرسم في نفوسنا أيَّ تأثيرٍ نتيجة الانتقال من صورةٍ إلى أخرى ، وبالتالي انعدم الزمن الجزئي (الذي تدركه نفوسنا) الذي يفصل عرض صورتين متتاليتين ، وبالتالي انعدام زمن هذا الفيلم وكأنه لوحة جدارية ميِّتة ..

من هنا ندرك أنَّ الانتقال من هيئة مكانية إلى أخرى ، بالنسبة لحادثةٍ ما نتفاعل معها حسب أحاسيسنا ، هو الذي يُحدِّد سرعة انسياب زمن هذه الحادثة ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر ..

لو قُمنا بزراعة إحدى الخضروات الصيفية في الصيف ، وحسبنا الزمن المقابل من لحظة زراعتها إلى لحظة إنتاجها .. وقمنا بزراعة الصنف نفسه في الشتاء ، وضمن ظروف مادية أخرى غير تلك الموجودة في الصيف ، وقمنا أيضاً بحساب الزمن المقابل من لحظة زراعتها إلى لحظة إنتاجها ، فهل يتساوى الزمنان ؟ .. بالطبع لا ..

النبتة في الحالتين مرَّت بمراحل النمو ذاتها ، ونمت وتكاثرت خلاياها بالحجم نفسه ، فالهيئات المكانية التي مرَّت بها النبتة في الحالتين هي ذاتها ، على الرغم من ذلك نجد أنَّ الزمنين مختلفان ..

نحن خارج العالم الداخلي لهذه النبتة ، نُحسُّ أنَّ الزمن في الحالة الثانية ، أطول منه في الحالة الأولى ، وبالتالي فإنَّ الزمن الجزئي (حسب إحساسنا نحن) اللازم لانتقال الخلية من هيئة مكانية إلى أخرى ، هو في الحالة الثانية أطول منه في الحالة الأولى .. ولكن بالنسبة للنبتة نفسها ما الفارق بين الحالتين ؟ ..... من خلال زمنها الداخلي الذي يحكم نمو خلاياها ، لا يُوجد أيُّ فارق ، لأنها في كلِّ حالة ستمرُّ عبر مراحل معيَّنة ، وهيئات مكانية محدَّدة ، هي ذاتها في الحالة الأُخرى ..

ولو أُتيح لنا تصوير هاتين الحالتين (النبتة في الصيف ، وفي الشتاء) عبر شريطين سينمائيين كبيرين ، سوف لا نجد أيَّ اختلافٍ بين الشريطين ، سوى أنَّ إحساسنا بسرعة عرض الشريط الثاني أبطأ من سرعة عرض الشريط الأول ، وبالتالي نحس بأنّ زمنه أكبر (هذا إن استطعنا رصدَ الهيئات المكانية الصغرى التي ينمو خلالها النبات وتصويرَها) .. ولو أننا أسرعنا بعرض الشريط الثاني بمقدار محدَّد لحصلنا على الشريط الأول ، ولو أننا أبطأنا بعرض الشريط الأول بمقدار محدَّد لحصلنا على الشريط الثاني ..

وهكذا نرى أنَّ تفاعل حواسّنا مع حركة المادّة ، من هيئة مكانية لأخرى ، هو الذي يرسم الزمن الخارجي (بالنسبة لنا) الذي يحكم المادّة ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر ..

لنتخيَّل أنّنا وضعنا إنساناً وبيده ساعة مواقتة لساعاتنا ، في مركبة فضائية تسير بسرعة قريبة نسبياً من سرعة الضوء ، وبعد فترة عاد هذا الإنسان بمركبته إلينا .. فهل ساعته تسجِّل الزمن نفسه الذي سجَّلته ساعاتنا أثناء غيابه عنَّا ؟ .. يقول العلم لا !..

.. فساعته ستسجِّل زمناً أقلّ من الزمن الذي سجلته ساعاتنا بمقدارٍ يتعلَّق بسرعة مركبته ، وسيُفاجأ هو بذلك كما نُفاجأ نحن .. ففي تلك الظروف التي كان فيها ، لن يحسَّ أبداً بتباطؤ ساعته ، لأنَّ خلايا جسده ، ونبضات قلبه ، وحواسّه ، وجميع مادّة جسمه ، ستتباطأ حركتها بالنسبة نفسها التي تتباطأ بها حركة ذرّات ساعته وعقاربها ، وكلُّ ذرّات المركبة التي هو بداخلها .. فزمنه الداخلي المرتبط بمادة جسمه ، يتباطأ بالنسبة نفسها التي يتباطأ بها الزمن الخارجي (بالنسبة له) الذي يحكم مركبته وساعته .. فمن أين له أن يحسَّ بهذا التباطؤ ؟ ..

ولو أُتيح لنا النظر إليه أثناء رحلته هذه ، لأحسسنا بتباطؤ حركته .. ولو أُتيح لهذا الراكب النظر وهو بمركبته إلى عالمنا نحن ، سيحسُّ أنَّ زمننا (الذي يُعتبر الزمن الخارجي بالنسبة له ولعالم مركبته) يتسارع بشكل مغاير لانسياب الزمن في عالم مركبته ..

.. سرعته الهائلة في هذا الكون ، هي التي جعلت الانتقال من هيئة مكانية لأخرى في هذه الجملة المتحرِّكة ، أبطأ منها في العالم البعيد عن هذا التسارع الكبير .. فكلُّ ما في هذه المركبة ستتباطأ حركته بالنسبة نفسها ، وستصل صور أحداث هذه المركبة إلى نفوسنا التي تعيش في عالم آخر له حركته وصفاته وماهيته الخاصّة .. لذلك سنرى من عالمنا نحن صور أحداث ذلك العالم – عالم المركبة – تتباطأ بنسبة معيَّنة تتعلَّق بسرعة المركبة ..

فنبضة القلب التي تحتاج في عالمنا إلى ثانية تقريباً ، تحتاج داخل المركبة (حسب توقيتنا نحن) إلى أكثر من ذلك .. وسرعة دوران الإلكترونات حول النواة في ذرّات عالم المركبة أبطأ منها عندنا .. لذلك فالزمن الجزئي اللازم للانتقال من هيئة مكانية إلى أخرى في عالم

المركبة (حسب مقياسنا نحن للزمن) أطول من الزمن الجزئي اللازم للانتقال من الهيئة المكانية إلى الأخرى التالية في عالمنا ..

.. وما يحدث بالنسبة لتباطؤ الزمن في عالم المركبة (بالنسبة لنا) يُرافقه تقلُّص في الأطوال الداخليَّة لكلّ العناصر الماديَّة في المركبة بما فيها جسم الإنسان ، وذلك باتجاه الحركة ، ويرافقه أيضاً ازدياد في كتلة هذه الأجسام الماديَّة .. وهذه الملاحظات (كما قلنا) التي نلاحظها نحن ، لا يمكن أن يُلاحظها الراكب داخل هذه المركبة ، لأنَّ كلَّ ما يحيط به سوف يتغيَّر بالنسبة نفسها التي يتغيَّر بها جسمه ..

من خلال الأمثلة السابقة ، المستندة على حقائق علمية مثبتة ، نستطيع القول : إنَّ إدراك الزمن الجزئي الأصغر الذي يفصل بين هيئتين مكانيتين متتاليتين ، هو إدراك حوّاسّنا للتغيّر الحاصل نتيجة انتقال الهيئة المكانيّة من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية .. وعليه يكون إدراك النفس للزمن هو إدراكها لتراكم هذه الأزمنة الجزئية ..

وهكذا .. يُعدُّ الزمن صورة من صور الإدراك الحسِّي ، شأنه بذلك شأن إدراكنا للَّون والرائحة والطعم ، شأنه شأن إحساسنا بالبرودة والسخونة ، فكما أننا لا نستطيع الإحساس بصفات المادة إلاّ من خلال نقل حواسِّنا لهذه الصفات إلى الدماغ ، فكذلك لا نحسُّ بالزمن إلاّ من خلال تفاعل حواسِّنا وأجسادنا وأنفسنا مع الأحداث المتحركة في عالم المادَّة الذي نعيش ضمنه ..

.. فالزمن ليس مقداراً رياضياً مجرَّداً عن أي ارتباط بالحركة ، ولا ينساب على نمط واحد ، وبالتالي لا تُوجد له طبيعة خاصَّة مستقلَّة عن المادة وحركتها .. إنَّ إدراكنا للزمن يكون عبر إطلالتنا على عالم المكان والزمان عن طريق أجسامنا وحواسّنا ..

أمّا الزمن الداخلي الذي يحكم النفس ، فهو تراكم الإدراك الداخلي لهذه النفس بالنسبة للمتغيِّرات الماديّة وحركتها داخل الجسم الذي تسكنه النفس ، ويتبع ذلك لمادة الجسم وحركته .. وهذا الزمن الداخلي الذي يحكم النفس ، تعتبره النفس الميزان الذي

تقيس عليه درجة الانسياب الطبيعي للأزمنة الخارجية ، التي تتفاعل معها عن طريق الحواس ..

لنقف الآن عند صُور المادة خارج الجسم ، والتي تَعْبُر النفس عن طريق الحواس ، محاولين التعرف على حركتها عبر المكان .. تلك الحركة التي ولّدت في النفس الإحساس بالزمن الخارجي ..

.. صُور الحوادث في هذا الكون ، تنتقل في الفضاء الخارجي بسرعة الضوء ، أي حوالي (300000) كيلو متر في الثانية ، وهي تنتقل في كلِّ الاتجاهات .. فشعاع الشمس الذي يأتينا بسرعة الضوء يحتاج في مسيره إلينا إلى (8) دقائق تقريباً ، وبالتالي فإنَّ صورة الشمس التي تنتقل إلينا عبر هذه الأشعّة ، تحتاج إلى (8) دقائق حتى تصلنا .. لذلك نقول إنَّ الشمس تبعد عنا مسافة (8) دقائق ضوئية ..

.. هذه الشمس التي نراها (من على الأرض) هي ليست الشمس الحقيقية الآن ، إنها الشمس قبل (8) دقائق .. ولا يمكننا أبداً رؤية الشمس الحقيقية (حسب زمنها هي) إلا بالذهاب إليها .. فصورة الشمس التي تَعْبُر النفس (هنا على الأرض) من خلال منافذها الحسِّية عبر الجسم ، نعيش معها بفارق زمني (عن زمن الشمس الذاتي) يُقدَّر بحوالي (8) دقائق ..

وهذا ينسحب على كلِّ الأجسام المادية في هذا الكون ، فرؤيتنا لباب الغرفة هي إدراكنا لصورة هذا الباب قبل فترة زمنية ضئيلة جداً ، تساوي نسبة بعدنا عن الباب إلى سرعة الضوء (300000) كيلو متر في الثانية .. صحيح أنَّ هذه النسبة صغيرة جدّاً ، ولكنها موجودة فعلاً ويمكننا حسابها ، وعندما تكبر المسافة الفاصلة بيننا وبين الجسد المُشاهَد ، يصبح لهذه النسبة حدٌّ محسوس ..

لنفرض أنَّ نجماً يبعد عنّا مسافةً تعادل (1000) سنة ضوئية ، أي أنَّ الضوء المنبعث من هذا النجم والذي يحمل معه صورته ، يحتاج إلى ألف سنة في وصوله إلينا ، ولنفرض أنَّ هذا النجم قد انفجر قبل (600) سنة (حسب زمنه هو) ، فمن أين لنا أن نشاهد

صورة هذا الانفجار .. إننا لا نستطيع مشاهدة ذلك إلا بعد مرور (400) سنة حسب زمننا نحن ، لأنَّ صورة هذا الانفجار تسير إلينا بسرعة الضوء ، وستصلنا بعد فترة زمنية هي (1000 – 600 = 400) سنة ..

فالزمن الخارجي الذي تدركه النفس ، هو إدراكها لصورة المادة وحركتها في الماضي (الماضي المرتبط بالأزمنة الذاتية للأماكن التي انطلقت منها هذه الصور في الفراغ) .. ذلك الماضي الذي يختلف من نقطة لأخرى ، وذلك حسب بُعد هذه النقاط عن المكان الذي تُوجد فيه هذه النفس ..

وهكذا تتفاعل النفس مع الزمن الذي يحكم المادّة عبر بُعدين :

1 – الزمن الداخلي : وهو ناتج عن تفاعل النفس مع طبيعة مادة الجسم وماهيَّته وحركته وسلامة صحّته ، حيث تُدرك النفس انسياب زمنها الداخلي نتيجة لهذا التفاعل .. والزمن الداخلي لكلِّ نفس ، هو الأساس والميزان الذي تقيس عليه الانسياب الطبيعي للزمن الخارجي الذي تتفاعل معه عبر حواسِّها ..

2 – الزمن الخارجي وهو ناتج عن إدراك النفس (عبر حواسِّها) لحركة المادَّة خارج الجسم ، ويتبع ذلك للوضع المكاني لها ، ولنسبيَّة حركتها بالنسبة للعالم الخارجي (خارج الجسم) .. وتقدّر النفس سرعة انسيابه بالنسبة لزمنها الداخلي ..

.. فالزمن الخارجي للنفس ، مرتبطٌ بمكان وجود هذه النفس .. فنحن على الأرض نتعامل (وفق زمننا الداخلي) مع ماضي الشمس بفارق (8) دقائق ، ومع ماضي نجم آخر بفارق سنة مثلاً ، ومع ماضي نجم آخر بفارق (1000) سنة ، ولو وُجدت نفوسٌ أُخرى في تلك الأماكن ، لتعاملت (حسب زمنها الداخلي) مع ماضينا نحن بالفارق الزمني نفسه ..

وهكذا تُعدُّ الحادثة المستقبلية بالنسبة لنا ، حادثةً ماضية في مكان آخر من هذا الكون (حسب زمن ذلك المكان) ، فبعض الحوادث الخارجية التي نراها بعد سنة ، مرَّت هي ذاتها من أماكن أخرى في هذا الكون قبل سنين ، وستمرُّ من أماكن أخرى بعد سنين ..

فمن نقطة ما في هذا الكون نستطيع رؤية كلّ أحداث الكون التي تصلنا ، ولكن حسب ماضي هذه الأحداث .. ذلك الماضي المتعلّق بالبعد المكاني الذي يفصلها عنَّا ..

فكما أنه لا يوجد مكان مطلق مستقلّ عن أبعاد المادة ، لا يوجد زمان مطلق مستقلّ عن حركة هذه المادة .. إنَّ مفهوم الزمن المطلق المجرَّد المنساب على نمط واحد ، وله طبيعته الخاصَّة المستقلَّة ، هذا المفهوم لا يكون إلاّ إذا كان انتشار التأثير لحظيَّاً ، أي عندما تكون صورة أيّ حادثة في هذا الكون ، تنتشر إلى جميع أجزائه بلحظة واحدة ، وتشعر به جميع مواد هذا الكون في اللحظة نفسها .. عند ذلك فقط يكون المفهوم المجرَّد المستقل لانسياب الزمن صحيحاً .. ولكن هذا المفهوم ساقط علمياً ، فانتشار التأثير ، وانتقال صور الأحداث ، يكون بسرعة الضوء (300000) كيلو متر في الثانية ، وهي سرعة محدّدة ، لذلك فإنَّ انتشار صور حادثة ما يحتاج إلى زمن ..

إنَّ كلمة الآن تختلف من مكانٍ لآخر ، فكلمة الآن هنا تعني مجموعة من تواقيت الماضي (أو المستقبل) للأماكن ، حسب بعدها المكاني عنَّا ، لأننا ضمن مكانٍ محدَّد في هذا الكون ، ونتفاعل مع أحداث الكون (حسب أزمنتها هي) بفواصل زمنيَّة تتبع بعدها عنَّا ، فانتقال هذه الأحداث ليس لحظيَّاً ، ويحتاج إلى زمن للوصول إلينا ..

إذا فرضنا (جدلاً) أننا نريد رؤية انعكاس الترتيب الزمني ما بين النتائج ومقدماتها بالنسبة للأحداث الخارجية ، أي رؤية انسياب الزمن بشكل معاكس لانسيابه الذي يحكمنا ، أي أننا نريد رؤية النتائج قبل المقدمات التي أدَّت إليها بالنسبة لحادثة ما ، فهذا يقتضي أن يكون البعد المكاني بين المقدمة ونتيجتها (المحسوب بناءً على سرعة الضوء) أكبر من البعد الزماني بينهما (الزمن الفعلي بين المقدّمة ونتيجتها) ..

فمثلاً إذا ركب أحدٌ بسيارة وانطلق من مدينة أولى إلى مدينة ثانية .. حتى يتغيَّر الترتيب الزمني بين المقدمة (وهي الانطلاق من المدينة الأولى) والنتيجة (وهي الوصول إلى المدينة الثانية) .. أي .. حتى نشاهد وصوله إلى المدينة الثانية قبل انطلاقه من المدينة

الأولى ، يجب أن تكون المسافة بين المدينتين (منسوبة لسرعة الضوء) أكبر من البعد الزمني الذي استغرقته الرحلة (الزمن الحقيقي للرحلة) ..

.. وبعبارة أخرى يجب أن تكون سرعة سيارته أكبر من سرعة الضوء .. عند ذلك يعود الزمن إلى الوراء ، وبالتالي يمكن رؤية النتائج قبل المقدمات ، أي يمكن لمشاهد ما في مكان آخر من هذا الكون ، رؤية وصول راكب السيارة إلى المدينة الثانية ، قبل انطلاقه من المدينة الأولى .. أي رؤية الرحلة بشكل عكسي ..

إنَّ ذلك من المستحيل على المخلوقات المحسوسة المشاهدة في هذا العالم المادي ، لأنَّ سرعة حركتها لا يمكنها الوصول إلى سرعة الضوء ، ولو حصل ذلك لتحوَّلت مادة هذه المخلوقات إلى طاقة ..

كما يستحيل على المخلوق مشاهدة تغيُّر الترتيب الزمني الذي يحكمه ، لأنه محكوم لقوانين المادة والمكان والزمان ، فهو موجود في مكان محدَّد ، ولا يمكنه رصد الحوادث إلاّ من مكانه هذا ، أو من مكان يتحرَّك بسرعة لا يمكنها الوصول إلى سرعة الضوء ..

فرؤية انسياب الزمن من النتائج باتجاه المقدمات (عكس الانسياب الذي يحكمنا) يحتاج إمّا إلى انتقال المتحرِّك بسرعة أكبر من سرعة الضوء ، أو إلى انتقال المشاهِد بسرعة أكبر من سرعة الضوء ، أو أن يكون المشاهد موجوداً في كلِّ مكانٍ من هذا الكون ، ويرى في اللحظة نفسها جميع أمكنة هذا الكون دفعة واحدة ، أي متحرِّراً من قيد المكان .. وكلٌّ ذلك مستحيلٌ على المخلوقات ..

.. لنقف عند هذا المثال الذي سوف يقرِّب الصورة إلى أذهاننا ..

إذا فرضنا أنَّ إنساناً عاش ومات خلال فترةٍ زمنية مقدارها (س) واحدة زمن .. حيث يرمز الحرف (س) إلى عدد وحدات الزمن التي عاشها هذا الإنسان ، وبما أنّنا فرضنا أنَّ لكلِّ واحدة زمن صورة خاصّة بها ، فإنَّ هذا الرمز (س) يشير أيضاً إلى عدد صور حياة هذا الإنسان التي انطلقت في الفضاء .. فكلّ واحدة زمن من هذه الوحدات تفصل بين صورتين متتاليتين من صور حياته التي تنطلق في الفضاء ..

.. أي .. لنتصوَّر أنَّ حياة هذا الإنسان ، كانت عبارة عن شريط سينمائي مكوَّن من (س) صورة ، بحيث تنطلق هذه الصور في الفضاء ، من مكانه الذي يعيش فيه في كلِّ الاتجاهات ..

لو أخذنا اتجاهاً واحداً ، من مجموعة الجهات المنطلقة في الفراغ على شكل كرات مركزها هو مكان الحدث ، لكانت الصورة (ص1) التي انطلقت في الفضاء لحظة ميلاده ، هي الصورة الأبعد عن المكان الذي عاش ومات فيه ، لأنها أول صورة انطلقت في الفضاء .. ولكانت الصورة الأخيرة (ص س) التي انطلقت في الفضاء لحظة موته ، هي الصورة الأقرب إلى المكان الذي عاش فيه ، لأنها آخر صورة انطلقت في الفضاء .. وما بينهما من الصور تكون مرتَّبة حسب ترتيب تغيُّر الهيئة المكانيَّة التي عاشها هذا الإنسان ..

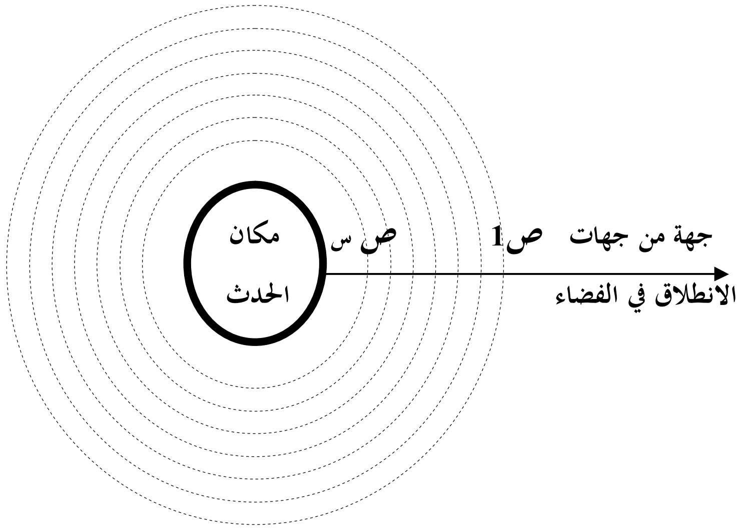

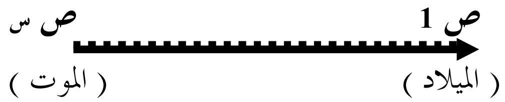

لنتخيَّل أنَّ مشاهداً يرى جميع الأمكنة التي تمرُّ منها هذه الصورة في اللحظة نفسها ، أي أنَّ المشاهد غير محكوم لقانون المكان ... إنَّ هذا المشاهد (المفروض) يستطيع رؤية جميع صور هذا الإنسان التي عاشها دفعة واحدة ، لأنَّ بصره (كما فرضنا) يحيط بجميع الأمكنة دفعة واحدة ..

لو نظر هذا المشاهِد ابتداءً من جهة المكان الذي عاش فيه هذا الإنسان لرأى صورة هذا الإنسان لحظة موته (ص س) ، ومن ثمَّ الصورة التي سبقتها (انطلاقاً في الفضاء) ، وهكذا ، لتكون آخر صورة يراها هي صورة ميلاد الإنسان (ص1) .. أي أنه يرى عمر هذا الإنسان من موته إلى ميلاده ، وهو ذاته الانسياب العكسي للزمن الذي عاشه ذلك الإنسان من النتائج باتجاه المقدمات ..

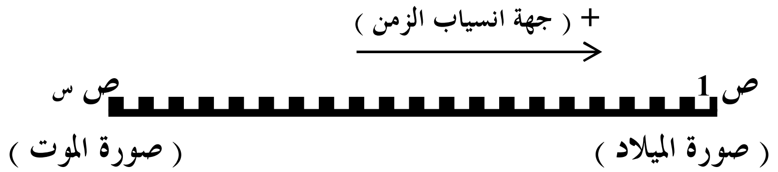

(محور الزمن الخارجي لنظرة المشاهد في هذه الحالة)

ولو نظر هذا المشاهِد عكس ذلك ، أي ابتداءً من الصورة الأولى التي انطلقت في الفضاء لحظة ميلاد الإنسان (ص1) ، باتجاه الصورة الأخيرة التي انطلقت في الفضاء لحظة موت الإنسان (ص س) ، لرأى انسياب الزمن الحقيقي لعمر هذا الإنسان ، أي لرأى ترتيب الزمن من المقدمات باتجاه النتائج ..

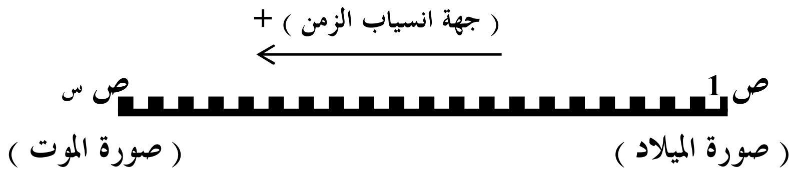

(محور الزمن الخارجي لنظرة المشاهد في الحالة الثانية)

ولو نظر هذا المشاهِد إلى نقطة ما (ن) تقع بين صورة الميلاد (ص1) وصورة الموت (ص س) ، لرأى هذه النقطة عبارة عن حلقة تمرُّ منها صور شريط حياة هذا الإنسان .. ففي كلِّ لحظة زمنية من وحدات الزمن تمرُّ صورة من هذه الحلقة .. فأوَّل صورة مرَّت من هذه الحلقة هي صورة الميلاد (ص1) ، وآخر صورة ستمرُّ منها هي صورة الموت (ص س) ..

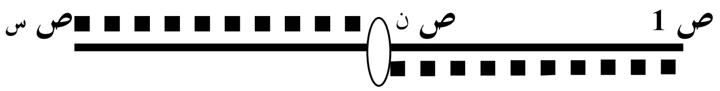

(صورة الميلاد) (صورة الموت)

ويكون عمر الإنسان في اللحظة (ن) عند الصورة (ص ن) ، هو مجموعة الصور من صورة ميلاده (ص1) حتى الصورة (ص ن) ، وهذا الجزء يزداد كلَّ واحدة زمن بمقدار صورة واحدة على حساب القسم الآخر .. ويكون ما بقي له من العمر هو مجموعة الصور على يسار الصورة (ص ن) حتى صورة موته (ص س) .. وهذا الجزء ينقص كلَّ واحدة زمن بمقدار صورة واحدة ، هي ذاتها التي يربحها القسم الآخر في واحدة الزمن هذه ..

وهكذا عندما ينظر المشاهِد المفروض إلى شريط صور حياة الإنسان (من ميلاده باتِّجاه موته) فإنه يرى بالنسبة لأيِّ صورة من حياته مثل الصورة (ص ن) التي يعيشها في اللحظة (ن) ، يرى مرحلتين من العمر الكامل لهذا الإنسان ، تتغيَّران من لحظة لأخرى ، يمكن تمثيلهما بالمحورَين التاليَين ..

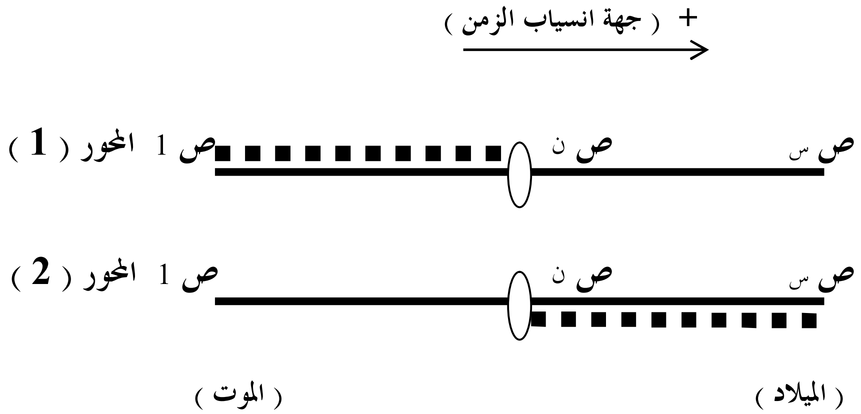

المحور 1 : يمثِّل الماضي بالنسبة للحظة (ن) ، وهو محور زيادة العمر ، حيث يمثِّل الخطُّ المستمرُّ مجموعةَ الصور التي يراها المشاهِد المفروض قد عمَّرت حتى اللحظة (ن) ، والتي تزداد من لحظة لأخرى ..

المحور 2 : يمثِّل المستقبل بالنسبة للحظة (ن) وهو محور نقصان العمر ، حيث يمثِّل الخطُّ المستمرُّ مجموعةَ الصور المستقبلية بالنسبة للصورة (ص ن) ، هذه الصور التي تنقص من لحظة لأخرى لحساب الخطِّ المستمرِّ في المحور (1) ..

إنَّ بإمكان العقل البشري تصوُّر ذلك ، عندما تكون أحداث عمر الإنسان جميعها من لحظة ميلاده إلى لحظة موته قد وقعت فعلاً ، أي أنَّ الإنسان قد عاش عمره فعلاً ومات ، وبالتالي انطلقت صور حياته (من لحظة ميلاده إلى لحظة موته) كاملةً في الفضاء .. في هذه الحالة فقط يستطيع العقل البشري تصوُّر المفهوم السابق ..

ولكن .. عندما لم يعش هذا الإنسان جميع مراحل عمره ، أي أنه لم يمت بعد ، فمن يستطيع مشاهدة أحداث حياته التي لم يعشها بعد ؟ .. من يستطيع أن يشاهد صورة موته (ص س) ، وهو مازال على قيد الحياة ؟ .. طبعاً من المستحيل على المخلوقات رؤية ذلك أو تصوُّره ..

إنَّ قوانين المادة والمكان والزمان التي تحكم المخلوقات ، وتمنعهم من رؤية المستقبل ، هي قوانين مخلوقة لله سبحانه وتعالى ، وهي محكومة له .. فالله سبحانه وتعالى يحيط علماً بكلِّ مكان وزمان ، ويرى كلَّ الكون (زماناً ومكاناً) دفعة واحدة ..

لندرس هذه المسألة عبر مقدمات يتصوُّرها العقل البشري بسهولةٍ أكبر ..

إذا افترضنا أننا ضمن فراغ نعلم تماماً جميع صفاته من كثافة ومقاومة للاحتكاك و ..... إلخ ، وإذا افترضنا أننا نعلم تماماً جميع القوانين التي تحكم حركة سير القذيفة نتيجة القوى التي تؤثِّر عليها ، وإذا افترضنا نقطة البداية ولحظة البداية لإطلاق هذه القذيفة من مدفع نعلم تماماً جميع صفاته وميِّزاته ..

ألا يمكن عند ذلك التنبؤ مسبقاً (حسب علمنا المحدود) بالنقطة التي ستسقط فيها هذه القذيفة ، وبلحظة سقوطها ، وبالمسار الذي ستسلكه أثناء حركتها ، وبعمر هذا الحدث من لحظة إطلاق القذيفة إلى لحظة سقوطها ، وبكلِّ التَّغيُّرات التي تطرأ نتيجةً لهذا الحدث ؟ .. إنَّ علمنا بذلك يكون أقرب إلى الحقيقة ، كلَّما اقترب هذا العلم من حقيقة المقدمات التي استنتجنا منها التنبؤات السابقة ..

.. ولنأخذ مثالاً آخر ..

لو افترضنا أننا نعلم تماماً جميع الظروف المادية التي تحيط بقطرة محدَّدة من مياه البحر ، والتي تؤدِّي إلى تبخُّر هذه القطرة ، ولحظة تبخُّرها ، والمكان الذي تبخَّرت منه ... وإذا فرضنا أننا نعلم تماماً جميع القوى التي تُؤثِّر على هذه القطرة بعد فراقها لمياه البحر ، وبالتالي إلى أيِّ ارتفاع ستصل ، وإلى أيِّ غيمة ستنتمي .. وإذا فرضنا أننا نعلم تماماً جميع القوى الداخلية في الغيمة والتي تؤثِّر على هذه القطرة ، وبالتالي تحديد مسارها وحركتها وحالتها ضمن هذه الغيمة .. وإذا فرضنا أننا نعلم تماماً جميع الظروف المحيطة بها في كلِّ لحظة من قوة رياح وغيرها والتي ستدفع هذه الغيمة ، وبالتالي معرفة الأماكن التي ستصل إليها وستسقط مياهها فيها ، والقوانين التي تحكم ذلك ، وبالتالي معرفتنا لنقطة سقوطها ..... وهكذا ..... إلخ ..

ألا يمكننا عندئذٍ التنبّؤ (على قدر علمنا بالمقدمات السابقة) بالمكان والزمان اللذين ستسقط فيهما هذه القطرة ، وبماهيَّة السقوط ؟ ..

إذا فرضنا (جدلاً) أنَّ علمنا حول رحلة قطرة المياه تلك ، ينسحب على جميع ذرّات المياه في الأرض في كلِّ مكانٍ زمان ، ألا نستطيع (وعلى قدر علمنا) التنبؤ بكميات المياه التي ستسقط في كلِّ زمان ومكان على سطح الأرض ..

إنَّ كلَّ ذرّة في هذا الكون تتحرَّك طاقتها التي أودعها الله تعالى فيها ، ضمن قوانين محدَّدة وثابتة رسمها الله تعالى لها ، من أجل إعطائها حيثيات وجودها في عالم المادة والمكان والزمان .. وهذه الذرّة تدخل في تركيب جزيئاتٍ أكبر ، هي الأخرى تتحرَّك ضمن قوانين محدَّدة ، حدَّدها الخالق سبحانه وتعالى .. وهذه الجزيئات تدخل في تكوين أجسام أكبر ، لها قوانينها ومؤثِّراتها الداخلية والخارجية التي حدَّدها الخالق سبحانه وتعالى .. وهكذا .. حتى المجرَّات .. حتى جسم الكون .. كلٌّ يتحرَّك ويدور ويؤثِّر بعضه ببعض عبر قوى وقوانين حدَّدها ورسمها خالق المادة ومبدعها سبحانه وتعالى ..

ولنسأل أنفسنا السؤال التالي : إذا كُنَّا نحن كمخلوقات ، عندما نعلم الجانب الظاهري من قوانين مسألةٍ ما وظروفها ومؤثِّراتها ، نستطيع معرفة الماهيَّة (على قدر علمنا) التي ستؤول إليها المادة نتيجة تطبيق هذه القوانين عليها .. فهل خالق المادة وكلّ شيءِ في هذا الكون ، وممسكها من الزوال في كلِّ لحظة عن طريق إعطائها حيثيات وجودها ، وخالق جميع المؤثرات الداخلية والخارجية المؤثرة فيها وواضع قوانينها ونُظمها التي تسير عليها .. فهل خالق الكون سبحانه وتعالى الذي لا تحكمه قوانين والمكان والزمان ، والذي يملك هذه القوانين ، والذي أحاط بكلِّ شيءٍ علماً ، والموجود في كلِّ مكانٍ وزمان .. هل من الصعب عليه إدراك الهيئة التي ستصير إليها الأشياء التي خلقها نتيجة تطبيق القوانين التي رسمها ؟ ..

إنَّ هذه الأمثلة وغيرها هي تقريب للتَّصوُّر البشري (المحكوم لقوانين المادة والمكان والزمان) عبر مقدمات مادِّية تؤدي إلى نتائج مادِّية .. ولكن بالنسبة للخالق سبحانه

وتعالى الذي هو أسمى من أن يُشبَّه بأيِّ شيء ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : 11] ، والذي يحيط بكلِّ مكان وزمان ، فإنه يرى الكون مكاناً وزماناً من لحظة ميلاده إلى نهايته دفعةً واحدة ، ويرى انسياب الزمن بكلِّ اتجاه .. فلا فارق عنده في رؤية نتائج الأحداث ، سواء وُجدت مقدماتها في عالم المادة والمكان والزمان ، أم لم توجد ..

﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام : 59]

.. الأحداث بالنسبة للخالق سبحانه وتعالى ، كأنها شريط سينمائي مفرود ، صورته الأولى هي لحظة ميلاد الكون ، وصورته الأخيرة لحظة نهايته ، ويسير هذا الشريط من الماضي باتجاه المستقبل ، ليمرَّ في حلقةٍ اسمها الآن .. ونحن من المخلوقات لا نشاهد من الأحداث التي تخصّنا إلا صور الأحداث الموجودة معنا داخل هذه الحلقة (الآن) ..

ويُلقي القرآن الكريم الضوءَ على هذه المسألة ، مُبيِّناً أنَّ الله تعالى يرى في كلِّ لحظة ما عاشه الإنسان حتى هذه اللحظة ، وما بقي له من عمره حتى نهاية هذا العمر ، وإن كان من الصعب علينا تصوُّر ذلك فإنَّه على الله تعالى يسير ..

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [فاطر : 35]

.. نرى من خلال هذه الصورة القرآنية ، أنَّ الكلمتين ﴿ يُعَمَّرُ ﴾ ، ﴿ يُنقَصُ ﴾ تردان بصيغة الاستمرارية ، فما يُعمَّر الإنسان من ولادته حتى لحظة ما (ن) ، يزداد كلَّ لحظة على حساب ما بقي له من عمره ، وما بقي له من عمره اعتباراً من اللحظة (ن) ، ينقص كلَّ لحظة لحساب ما عمَّر حتى هذه اللحظة ..

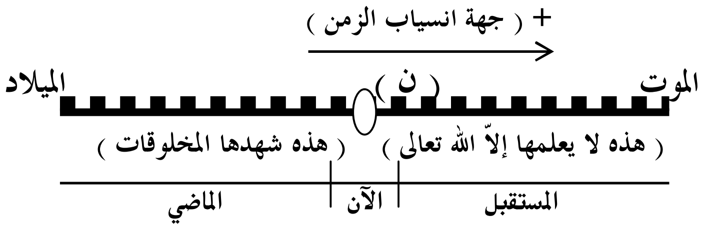

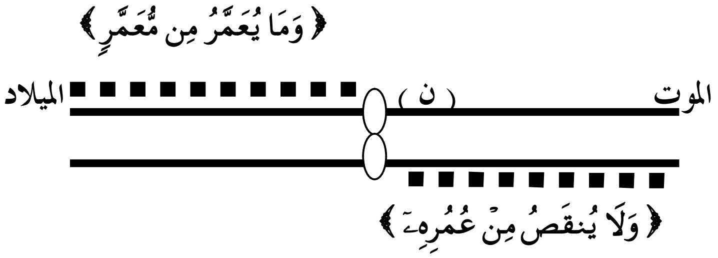

فالصورة القرآنية : ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ، لا تعني (كما ذهب بعضهم) أنَّ عمر الإنسان يزيد وينقص .. إنما تعني أنَّ عمر الإنسان (في علم الله تعالى) محدَّدٌ وثابتٌ ، حيث يرى الله تعالى في كلِّ لحظة من حياة الإنسان ، ما عاش حتى تلك اللحظة (الماضي بالنسبة للإنسان) ، وما بقي له من العمر حتى يموت (المستقبل بالنسبة للإنسان) ..

ومّما يؤكّد ذلك هو ورود الكلمتين [﴿ يُعَمَّرُ ﴾ ، ﴿ يُنقَصُ ﴾] بصيغة المضارع .. وورود كلمة ﴿ وَلَا ﴾ في العبارة القرآنيّة ﴿ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ ﴾ دون كلمة (وما) كما هو في صياغة العبارة ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ ﴾ ، وأنَّ الضمير في كلمة ﴿ عُمُرِهِۦٓ ﴾ يعود على الإنسان ذاته الذي يتعلّق به الضمير في كلمة ﴿ مُّعَمَّرٍ ﴾ ..

.. فكلُّ إنسان ، يفصل ما بين ميلاده وبين لحظة (الآن) زمنٌ عاشه ، اسمه الماضي ، وهذه الفترة تزيد من لحظة لأُخرى على حساب ما بقي له من عمره ﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ ﴾ .. ويفصل بين لحظة (الآن) وبين موته زمنٌ اسمه المستقبل ، وهذه الفترة تنقص

من لحظة لأُخرى لحساب الماضي ، حيث لحظة (الآن) تتحرّك – على محور الزمن – باتّجاه لحظة موته : ﴿ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ ﴾ ..

.. ويُبيِّن القرآن الكريم أنَّ الزمن مخلوق من مخلوقات الله تعالى ، شأنه بذلك شأن جميع المخلوقات الأخرى .. يقول تعالى :

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : 259]

خلال الفترة الزمنية التي أماته الله تعالى بها ، وهي مائة عام ، أجرى الله تعالى انسياب الزمن على حماره الذي أصبح نتيجةً لذلك كومةً من العظام ، و لم يُجرِ الزمن عن طعامه وشرابه ، فطعامه وشرابه بقيا كما هما لم يتسنَّيا طيلة هذه الفترة ..

.. الهدف من ذلك ، هو لفت انتباه الناس إلى أنَّ الزمنَ مخلوقٌ من مخلوقات الله تعالى ، ينساب ضمن قوانين ونُظم حددها ورسمها الخالق سبحانه وتعالى ﴿ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾ ، فتعلّق قانون الزمن بالمادّة ، ليس بعيداً عن علم الله تعالى وإرادته وقدرته ، فالله سبحانه وتعالى يخرق هذه القوانين ليثبت للمخلوقات أنَّ هذه القوانين ، لم تُوجَد وحدها ، و لم تعمل وحدها ، إنما هناك خالق قيُّوم على ذلك ..

وتُبيِّن هذه الآية الكريمة ، أنَّ الإنسان عندما لا يُطلُّ على عالم المادة والمكان والزمان بجسمه وحواسِّه ، فإنه لا يُحسُّ بحركة المادة في هذا العالم المادِّي ، لذلك على الرغم من لبث هذا الإنسان مائة عام أماته الله تعالى خلالها ، أجاب عن مدة لبثه هذه بأنها تعادل يوماً أو بعض يوم ، قياساً على فترة غيابه عن هذا العالم المادي أثناء النوم ..

رأينا – عبر هذا الفصل – أنَّ المفاهيم الثلاثة (المادة – المكان – الزمان) مرتبطة ومتلازمة ولا يمكن الفصل بينهما ، فلا يمكن إدراك المكان إلا من خلال مادة تشغله ، ولا يمكن إدراك المادة إلاّ من خلال حيِّز المكان التي تتجسَّد فيه هذه المادة ، ولا يمكن إدراك الزمن إلا من خلال حركة المادة ، وتغيُّر هيآت المكان الذي تحتلُّه هذه المادّة ، ولا تُوجد مادة لا تتحرك ، وبالتالي لا توجد مادة ليست محكومة لقوانين المكان والزمان ..

ويشير القرآن الكريم إلى علاقة المكان بالزمان في أكثر من موضع ..

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج : 47]

﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحج : 47]

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الحج : 47]

.. كلمة يوم ترتبط بدورة مكانية كاملة لمكان ما ، مما يتولَّد عن ذلك مفهوم الزمن المرتبط بهذا اليوم ، والذي يحكم المكان الذي دار هذه الدورة الكاملة .. فاليوم عندنا على الأرض هو (24) ساعةً ، وفي كوكب آخر يعني الزمن المقابل لدوران هذا الكوكب حول نفسه دورة كاملة ، وهكذا ... لذلك لا يحقُّ لنا أن نجعل من قيد دورة الزمن التي تحكمنا هنا على الأرض إطاراً نُقيِّد به دورات الزمن في كلِّ أرجاء الكون ..

فكلمة يوم عندما يعرضها القرآن الكريم ، تعني دورة الهيئة المكانية المرتبطة بمكان ما دورة كاملة .. فمثلاً خَلْقُ الله تعالى للسموات والأرض الذي تمَّ في ستة أيام ، يعني أنَّ

المادّة الأولى ، التي خلقها الله تعالى بكلمة كن ، والتي تتكوَّن منها مادة السماوات والأرض ، تفاعلت مع بعضها وتمايزت حتى أخذت الشكل الذي استقرَّت عليه ، خلال ست دورات مكانية كاملة دارت خلالها هذه المادة ..

ونرى الآن أنَّ باستطاعتنا الإجابة على السؤال الذي حار عنده بعض الناس ، الذين جعلوا من تصوُّراتهم قيداً على قدرة الله تعالى .. لو رجعنا بالزمن إلى الوراء وإلى النهاية ، ما هو مقدار الزمن الذي يُحدِّد قِدم الخالق سبحانه وتعالى عن مثل هذه التصوُّرات ؟ ..

.. هذا السؤال ناتج عن جهل بحقيقة الزمن ، وبأنه مخلوق يحكم المادة فقط نتيجة حركتها ضمن حدود المكان الذي تشغله ، وأنه صورة من صور الإدراك الحسي ، تدركه نفوسنا نتيجة تفاعل الحواس مع حركة المادة ، وأنه لا وجود للزمن خارج هذا الإطار ..

.. هذا السؤال ناتج عن جهل يتعلَّق بتصوُّرٍ خاطئ مفاده أنَّ الزمن مستقلٌّ عن المادة ، وأنَّه قانون أصيل يحكم كلَّ شيءٍ حتى الخالق سبحانه وتعالى عن ذلك ..

وفي الإجابة عن هذا السؤال نقول : لا زمان قبل خلق مادة هذا الكون .. كيف يكون هناك كون دون مادة ومكان وحركة ؟! .. فقانون الزمان مخلوق خُلق في اللحظة التي خُلقت فيها مادة هذا الكون ، وتحركت فيها هذه المادة ، في إطار المكان المخلوق أيضاً ..

.. نقول لمثل هؤلاء إنَّ الإله الموجود في تخيلاتكم ، والذي تريدون أن تخضعوه لحواسِّكم ، ولقوانين المادة والمكان والزمان التي تحكمكم ، ليس هو الله سبحانه وتعالى .. فالإله الذي تتخيلون هو صنم من الجهل والضلال ، وضعه الشيطان في مخيلاتكم لإبعادكم عن حقيقة عبادة الله تعالى ..

.. صفات الله تعالى تُدرك آثارها ولا يمكن الإحاطة بها ، وهي ليست تبعاً لتصوِّر أحد .. فآثار صفات الله عزَّ وجلَّ وعظمته وقدرته ، يستطيع أيُّ إنسانٍ رؤيتها في أي شيء من مخلوقات الله تعالى ..

.. وهكذا نرى سقوط المقدمات الوهمية التي وضعها أصحاب الفلسفة الإلحادية .. لقد سقطت هذه المقدمات (التي اضطروا لوضعها من أجل إبعاد أصحاب العقول النيرة والقلوب الحية عن عبادة خالقها عزَّ وجلَّ) علمياً ومنطقياً .. هذا السقوط .. بيَّنه – قبل ذلك – كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) ..